مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: رحلة ناصر خسرو القبادياني "سفر نامه" (قراءة جديدة)
اسم الكاتب: د. سامي مرعي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2678
تاريخ الاسترداد: 2026/04/12 16:18 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

رحلة ناصر خسرو القبادياني"سفر نامه"
(قراءة جديدة)

د. سامي مرعي*

1- المقدمة:

من الأهمية التنويه إلى أنّ رحلة ناصر خسرو القبادياني "سفر نامه" لم تنل حقها من الدراسة من قبل، فقد جاءت دراسات العديد من الباحثين فيها أمثال: كراتشكوفسكي، وزكي محمد حسن، وعبد الرحمن حميدة، ونقولا زيادة[1]، سريعة مختصرة، إذ اقتصرت على بعض الملاحظات عنها، وعرض بعض المقتطفات منها، وانطلاقاً من ذلك هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على بعض الجوانب المهمة في هذه الرحلة التي لم تبرزها الدراسات السالفة، وإن قصّرت الدراسة في بلوغ الهدف المنشود، فإنها تطمح إلى أن تتزود بآراء الباحثين ومقترحاتهم التي من شأنها أن تستكمل جوانب النقص فيها، وتخرج البحث بالصورة المثلى.

تعدّ كتب الرحلات من المصادر المهمة لدراسة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، إذ تتميز بمعلوماتها الغزيرة في النواحي الحضارية، ولاسّيما الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية وغيرها، لذلك فهي تعدّ من المصادر الأساسية لكلِّ من يتصدى للبحث في التاريخ الحضاري؛ وقد اعتمد الرحالة المسلمون في كتاباتهم على المعلومات التي جمعوها في أثناء رحلاتهم وأسفارهم، فكانوا يصفون ما يرونه، وكان مّما يسَّر السفر وساعد عليه اتساع رقعة العالم الإسلامي، وما شاع فيه من وحدة دينية، فقام المسلمون بالعديد من الرحلات لأغراض وغايات مختلفة، من أبرزها: الحج إلى مكة، وفيها يلتقي المسلمون من شتى أصقاع العالم الإسلامي، فيتبادلون المعلومات وأخبار البلدان، وكان بعض الرحالة يكتبون ما يشاهدون، وهم في طريقهم إلى الحجاز.

* قسم التاريخ – جامعة تشرين.

وقامت بعض الرحلات لأسباب علمية بهدف تحصيل العلم ولقاء الشيوخ والعلماء، وتعدّ الرحلات العلمية من أهم السمات البارزة في الثقافة العربية – الإسلامية، وهي تهدف إلى المزيد من الكمال في التعليم، وفيها يترك طالب العلم بلده بعد أن يحصّل ما لدى علمائه ليتجول في مناطق العالم الإسلامي، غير مبالٍ بما قد يلاقيه من مشاق السفر وأخطاره، فيقطع آلاف الأميال طلباً لقراءة كتاب واحد، أو سماع حديث واحد، وكان مما شجع على هذه الرحلات، الاعتقاد الذي تغلغل في النفوس بأن طلب العلم جهاد، ومن مات في سبيله، مات شهيداً[1].

وإلى جانب الرحلات العلمية، هناك الرحلات الإدارية أو السياسية لخدمة شؤون الدولة العربية الإسلامية التي ترامت أطرافها، ومعرفة الطرق ومراحلها، وتحديد المسافات، فظهرت كتب المسالك والممالك[2] التي أوقفت لوصف الطرق ومنازل البريد، وكانت مثل تلك الرحلات تهتم بالنواحي الاقتصادية من حاصلات زراعية ونشاط تجاري بهدف تقدير قيمة الخراج[3]. وهناك أيضاً الرحلات التجارية التي ازدهرت نتيجة لاتساع رقعة العالم الإسلامي، وما شاع فيه من وحدة الثقافة والدين، وهذا مما سهّل التنقل بين أقاليمه[4].

وقد تميز كثيرٌ من الرحالة المسلمين برحلاتهم الطويلة التي دوّنوا فيها خلاصة مشاهداتهم وأسفارهم، ومنهم: الرحالة ناصر خسرو القبادياني الذي قام برحلة واسعة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من بلخ[5] في خراسان إلى بلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية والعراق، وقد كانت أحوال المناطق التي زارها كالآتي:

ففي المشرق الإسلامي هناك الدولة الغزنوية التي امتدت على مساحة واسعة في أراضي خراسان وبلاد ما وراء النهر (أي نهر جيحون)[6] وبلاد الترك، ومدَّت نفوذها حتى الهند، ووصلت إلى حدود الصين، وقد عانت هذه الدولة من خطر التركمان والسلاجقة الذين أخذوا يتحركون من بلاد الترك نحو الأراضي الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فأعملوا السلب والنهب فيها، وأوقعوا الهزيمة بالجيش الغزنوي

في غير معركة، وآخرها معركة الدندانقان سنة 431هـ/ 1040م، وبنتيجتها تخلّى الغزنويون عن خراسان، وانحصر نفوذهم في الهند الصغرى والكبرى، فيما استولى السلاجقة بقيادة طغرلبك[7] على خراسان، فأعلن نفسه سلطاناً، وأخذ يرنو بأنظاره للسيطرة على بغداد، والتحكم بالخلافة العباسية[8].

ولم يطل الوقت حتى قصد طغرلبك بغداد، فسيطر عليها سنة 447هـ/ 1055م، وقضى على السلطة البويهية المتحكمة بالخلافة العباسية التي كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف[9]، فزال النفوذ البويهي ، وحلَّ مكانه النفوذ السلجوقي الذي أصبح متحكماً بالخلافة العباسية.

وكان هناك دولتان في منطقة الجزيرة الفراتية وأعالي بلاد الرافدين هما: الدولة العقيلية العربية في الموصل[10]، ودولة الأسرة المروانية الكردية في ديار بكر[11]؛ أمّا بلاد الشام، فكانت موزعة بين الدولة المرداسية التي مركزها في حلب[12]، والخلافة الفاطمية في مصر، ويحكمها الخليفة المستنصر الذي خلف والده الظاهر لإعزاز دين الله سنة 427هـ/ 1036م، وامتد حكمه ستين عاماً حتى سنة 487هـ/ 1094م[13]، وقد وصلت الخلافة الفاطمية إلى أقصى اتساع لها خلال العشرين سنة الأولى من حكمه إذ شملت مصر، وجنوب بلاد الشام، وإفريقية، وصقلية، والشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر، والحجاز واليمن، كما كسبت ولاء عدد كبير من الأتباع في المشرق، ثم هوت في انحدار سريع، وأخذت تفقد ممتلكاتها تدريجياً، وتزامن ذلك مع ظهور السلاجقة، وسيطرتهم على الخلافة العباسية، وإنهائهم السلطنة البويهية.

ولم تكن شبه الجزيرة العربية موحدة سياسياً، فالحجاز واليمن تتبعان للخلافة الفاطمية[14]، ويحكم الإحساء[15] والبحرين القرامطة، أمّا أواسط شبه الجزيرة العربية، فكان موزعاً بين قبائل بدوية متعددة ومتناحرة فيما بينها[16].

ولد ناصر خسرو وعاش في المشرق الإسلامي، وقد بدأ منه رحلته، وعاد إليه في نهاية تلك الرحلة، فقضى بقية حياته فيه حتى توفي، ويُقسم المشرق الإسلامي عند

بعض الجغرافيين إلى ثلاثة أقاليم هي: خراسان وسجستان وما وراء النهر، ولكن هناك من جعله إقليماً واحداً ذا جانبين هما: خراسان وما وراء النهر، ويفصل بينهما نهر جيحون[17]، ويُقسم كلٌّ منهما إلى عدة كور ونواح[18]

وقد زار ناصر خسرو خلال رحلته معظم أقاليم العالم الإسلامي من المشرق حتى مصر، وكانت هذه الأقاليم هي: بلاد الديلم، إقليم الرحاب (الران وأرمينية وأذربيجان)، إقليم الجبال (الري وهمذان وأصفهان)، خوزستان، فارس، كرمان، جزيرة العرب، العراق، أقور (الجزيرة الفراتية وشمال العراق)، إقليم الشام، ومصر[19].

2- حياة ناصر خسرو:

ذكر ناصر خسرو اسمه كاملاً كالآتي وهو: «أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي[20]»، وذكره بشكل آخر هو: «أبو معين ناصر بن خسرو بن الحارث اليمغاني[21]»، ولد في مدينة قبادیان[22] سنة 394هـ/ 1003م لأسرة متوسطة الحال ومتعلمة وذات مكانة عالية من الموظفين الحكوميين لدى الغزنويين، وعُرف من هذه الأسرة –فضلاً عن ناصر خسرو – ولدان آخران هما: أبو سعيد الذي رافق ناصر خسرو في رحلته، والخواجة أبو الفتح عبد الجليل الذي كان يعمل في حاشية وزير أمير خراسان[23]؛ هذا ولا يعرف إن كان ناصر خسرو قد تزوج، وكوّن أسرةً أم عاش طيلة حياته عازباً، وعاشقاً لطموحاته المختلفة، وساعياً لتحقيقها.

تلقى ناصر خسرو ثقافةً واسعةً، ولما كُبر سار على نهج أفراد آخرين من عائلته، فالتحق بخدمة الإدارة الحكومية في ظل الغزنويين، ولما برز السلاجقة على المسرح السياسي، وحلوا مكان الغزنويين في خراسان، صار ناصر خسرو إلى خدمتهم، ولا يعرف كيف اختير السلاجقة له؟ وهل لشهرته بعمله في صناعة الإنشاء والشؤون المالية؟ أم لأنهم أبقوا الإدارة في المناطق التي سيطروا عليها كما كانت عليها في عصر الغزنويين، فكان من بين العمال الذين احتفظوا بمناصبهم ناصر خسرو الذي تولى أمر خزانة جغري بك السلجوقي[24] مدة طويلة حتى نسب إليها[25].

وعندما بلغ ناصر خسرو الثانية والأربعين من عمره، طلب إعفاءه مّما عهد إليه من عمل، وأعلن عزمه على الحج إلى مكة[26]، فبدأ في سنة 437هـ/ 1045م رحلته التي استغرقت سبع سنوات، وفي خلالها زار كثيراً من المدن في خراسان، وأذربيجان، وارمينية، والجزيرة الفراتية، وبلاد الشام، ومصر، وشبه الجزيرة العربية، والعراق، ليعود بعدها إلى بلخ سنة 444هـ/ 1052م وعمره خمسين سنة، والتزم بقية عمره بالمذهب الإسماعيلي، ونجح في عمله كداعية لهذا المذهب، مّما أدى إلى انقلاب الرأي العام ضده مجبراً إياه على الفرار طلباً للنجاة، فهاجر إلى الشرق ليستوطن في منطقة بدخشان[27] في وادي يمكان على نهر كوكشا (وهو رافد جنوبي لنهر جيحون /أموداريا) في سنة 452هـ/ 1060م[28]، وهناك أمضى بقية حياته التي لا يعرف كثير من التفاصيل عنها، فقد ذُكر أنه أمضى أكثر من عشرين سنة متخفياً هناك يقتات العشب والماء[29]، وقد ظل في منفاه مواظباً على السعي وراء العلم والمعرفة، والحصول على الحكمة، فكان يصنف الكتب، ويكتب القصائد الفلسفية[30]، وقد استمرت المدة الغامضة من حياته حتى وفاته، ولا يوجد تاريخ دقيق لها، فقيل كانت بعد سنة 465هـ/ 1072م[31]، وهناك من جعلها بين 465هـ/ 1072م و471هـ/ 1078م[32]، وقيل إنها كانت في نحو 481هـ/ 1088م[33]، أو 483هـ/ 1090م تقريباً[34]، ولا يزال حتى اليوم قبره قائماً في ضواحي فيض أباد عاصمة بدخشان الأفغانية في الشمال الشرقي من أفغانستان.

وهكذا فإن حياته يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل هي: مرحلة النشأة والعمل بصفته موظفاً حكومياً، ومرحلة الرحلات، ومرحلة القيام بالدعوة الإسماعيلية والتبشير بها في مناطق خراسان والمشرق الإسلامي، وذلك حتى وفاته.

3- ناصر خسرو والمذهب الإسماعيلي:

كان ناصر خسرو خلال إقامته في القاهرة قد ارتقى إلى المراتب العليا في الدعوة الإسماعيلية، فكلف حجة على خراسان للقيام بأمر الدعوة فيها[35]، ولكنه لم يشر

إلى ذلك في رحلته «سفر نامه»، كما لم يذكر شيئاً عما كان بالقاهرة من الاهتمام الشديد بالدعوة للمذهب الإسماعيلي الفاطمي، ولكن يلاحظ أنه كان يتمتع بمكانة عالية خلال مدة إقامته الطويلة بها، فقد صاحب أحد كتَّاب الخليفة المستنصر، فتوطدت الصداقة بينهما، وتوسط له، فسُمِح له بحضور مائدة الطعام التي يقيمها الخليفة يوم العيد[36]، وحج مرتين في صحبة وفد الخليفة الفاطمي الذي يحمل الكسوة للكعبة، مع أنّ الحج كان ممنوعاً بسبب القحط الذي يضرب الحجاز[37]، وفي هذا ما يبيّن مكانة ناصر خسرو أثناء الرحلة، وتمتعه بعلاقة مميزة وموثوق بها مع البلاط الفاطمي، كما يدلّ على اعتناقه المذهب الإسماعيلي الفاطمي، إذ درس وتدرّب مع مفكرين آخرين، ووصل إلى أعلى المراتب، وغادر مصر وهو من كبار دعاتها، ولكن لماذا لم يشر في رحلته «سفر نامه» إلى اعتناقه هذا المذهب في مصر؟.

الواقع إن ذلك قد يعود لخوفه من الدولة السلجوقية التي كانت تحارب هذا المذهب، وتسعى للقضاء عليه، أو بسبب خوفه أن يتعرض أخوه أبو الفتح عبد الجليل – الذي كان من كبار رجال الأمير السلجوقي جغري بك – للأذى إن هو أظهر آراءه الجديدة[38]، أو قد يعود لأن المسودة الكاملة لكتابه «سفر نامه» لم تصلنا، بل وصلنا رواية موجزة، ربما كتبها شخص من أهل السنة، فحذف منها الآراء كلّها التي تخالف المذهب السني، ومنها عواطف المؤلف نحو الشيعة، ولا سيما الإسماعيلية[39].

هذا ويلاحظ أنّ وصف ناصر خسرو لمصر كله ثناء وتمجيد، وقد أوقف معظمه للحديث عن الخليفة الفاطمي وإنجازاته وأعماله الخيّرة، كما تحدث عن ثراء المصريين والأمن والرغد المنتشرين فيها، ولعله في ذلك قد عدَّ المذهب الفاطمي هو سبب نهضة مصر، ووصولها إلى تلك الحالة من الاستقرار، فهل كان هذا من قبيل التعصب لأنه أصبح فاطمي المذهب؟ وهل كتب ذلك في سبيل الدعاية للمذهب الفاطمي، وتشجيع الناس على الذهاب إلى مصر، وتعرّف المذهب الفاطمي، واعتناقه؟.

الحقيقة إن أسلوب المبالغة يسود الكتاب كله، ولا يقتصر على وصف مصر، ولعلّ تمجيده لمصر، يعود لما رأى من اضطرابات ونزاعات في المناطق التي مرَّ بها باستثناء مصر التي وجدها تعيش في جو من الهدوء والاطمئنان والرخاء الاقتصادي، في ظل الخلافة الفاطمية، فاعتقد أن الفضل في ذلك يعود إلى المذهب الإسماعيلي، وأنّ هذا المذهب كفيل بإنقاذ العالم الإسلامي، لذلك أقدم على اعتناق ذلك المذهب، فكلف بالدعوة له في خراسان[40].

ولكن مع ذلك فإنّ ناصر خسرو يتميز بالصراحة الواضحة، فقد اهتم بذكر الحقيقة، ولو كانت ستنعكس سلباً عليه، أو على الفاطميين، أو المسلمين بشكل عام، فمثلاً ذكر حادثة تدمير كنيسة القيامة في القدس بأمر من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[41]، وروى أنّ المسلمين وغيرهم يسرقون أبناء البجاويين، «ويحملونهم إلى المدن الإسلامية ليبيعونهم فيها»، مع أن البجاويين: «ليسوا أشراراً، فهم لا يسرقون ولا يغيرون، بل يشتغلون بتربية ماشيتهم[42]». وذكر حادثة انتزاع القرامطة الحجر الأسود من الكعبة، ونقله إلى الحسا، وهي الحادثة التي استغلت لتشويه سمعة القرامطة والفاطميين عامة، فاستنكرها، وأكد احترام قومه للحج والكعبة المشرفة[43].

وعندما أراد ناصر خسرو مغادرة مصر، تحدث عن عزمه العودة إلى وطنه عن طريق مكة[44]، وهو بذلك يعود إلى خراسان في طريق مغاير للطريق التي سلكها في مجيئه، إذ اختار طريق الحجاز والحسا، وكان يطيل الإقامة في كل بلد مرَّ بها في هذا الطريق، ففي مكة أقام مجاوراً ستة أشهر[45]، وحين مغادرته إياها نحو الحسا، ذكر أنهم يبلغونها في ثلاثة عشر يوماً[46]، ولكن رحلته إليها استغرقت تسعة أشهر، إذ سار بطريقٍ موحشٍ مليء بالمخاطر والصعوبات بين الأعراب من سفاكي الدماء الذين لا دين لهم في الطائف، ومطار[47]، والثريا[48]، وجزع[49]، وسربا، وفلج[50]، واليمامة ثم الحسا أخيراً[51]، فلماذا اختار العودة في هذا الطريق؟ ولماذا كان يطيل الإقامة في كل بلد مرَّ بها؟.

غادر ناصر خسرو مصر، وقد أصبح قوي الإيمان بالإسماعيلية، ومن كبار رجال الدعوة الفاطمية، ما يدفع للترجيح أنّه كان يحمل صفة خاصة في رحلته إلى الحجاز هذه المرة، وكان مكلفاً ببعض المهام لصالح الدعوة الفاطمية فيها، ولعل ما يؤكد ذلك ما حظي به من احترام وتقدير لدى أمير جدة التابع للخليفة الفاطمي إذ أعفاه من الضريبة الواجبة عليه، وكتب لأمير مكة ليعفيه منها أيضاً[52].

أمّا مغادرته مكة قاصداً الحسا، فالراجح أنّها لم تكن بهدف السياحة فقط، بل تعود إلى الصلات بين الخلافة الفاطمية في مصر والقرامطة في الحسا، وكانت تهدف إلى توطيد الصلات بين البلدين، وتجديد العلاقة بين القرامطة والخليفة المستنصر، ولا سيّما أنّ الدولة السنية القوية، وهي دولة السلاجقة، كانت قد أخذت تستولي على أملاك البويهيين، وتقلّص نفوذهم، حتى إذا ما جاءت سنة 447هـ/ 1050م، كانت قد تمكنت من القضاء على سلطنتهم[53]، لذلك كان على الفاطميين تجديد صلاتهم مع القرامطة وتوثيقها للوقوف صفاً واحداً في وجه الخطر الذي يتهددهما معاً، المتمثل بالتيار السني الذي قضى على الدولة الشيعية البويهية، وأخذ يحارب المذهب الفاطمي[54].

كذلك من المرجح أن تنقل ناصر خسرو وسط الأعراب في الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفلج يعود لأسباب سياسية أيضاً، وذلك ليؤلف بين هذه القبائل، ويجمع شتاتها، فتكون في صف واحد مع اليمن[55] التي كانت تدين بالولاء للفاطميين إذا ما دعاهم الخليفة الفاطمي باسم رئيسهم[56]. هذا ويعود تركيز الفاطميين جهودهم نحو الشرق واليمن آنذاك بسبب فقدانهم ممتلكاتهم كلّها في المغرب[57].

ولكن من المثير للانتباه معاناة ناصر خسرو في رحلة عودته من القاهرة إلى موطنه من الفقر الذي أشار إليه في أماكن مختلفة ولا سيّما عيذاب[58]، وفلج، والبصرة[59] وغيرها، «ويعدّ هذا واحداً من أكثر المعضلات خطورة في رحلته، فإذا ما كان يرتحل في خدمة الخليفة الفاطمي، فلماذا يفقد أمواله بمثل هذه السرعة؟ والحل الذي

يجده في كل مرة يعتمد على حذقه وفطنته، ولكن من المدهش أن يكون مضطراً لذلك[60]».

ولما عاد ناصر خسرو إلى بلخ في سنة 444هـ/ 1052م، صرف حياته الى الدعوة للمذهب الإسماعيلي في موطنه «خراسان»، وهي الجزيرة التي عيَّن حجة لها من قبل الفاطميين، فأقام مقر قيادته السري في بلخ نفسها، ومنها أخذ ينشر الدعوة الإسماعيلية في مقاطعات خراسان، إذ وصلت إلى نيسابور وغيرها، كما نشرها في شمال بلاد فارس التي كان قد زارها شخصياً، ولا سيّما طبرستان (مازندران) التي أقام فيها زمناً طويلاً حتى نسب إليها[61]، وكذلك في غيرها من المناطق التي على شواطئ بحر قزوين.

فذاعت شهرة ناصر خسرو مبشراً بالدعوة الإسماعيلية، فدخل كثير من الأتباع فيها، ولكنه فيما بعد تعرض لمضايقة شديدة من قبل الحكومة والناس، ووصم بالشرك والإلحاد[62]، فاضطر إلى هجر بلدته الأم «بلخ»، واللجوء إلى بلاط أبي المعالي علي بن الأسد بن الحارث الأمير الإسماعيلي المفكر في منطقة يمكان[63] من ولاية بدخشان الجبلية، الذي كان يتمتع باستقلال ذاتي[64]، وهناك أخذ ينتج أشعاره، ويصنف الكتب والرسائل، ويصدر «كتاباً كل سنة[65]»، وقام بنشر الدعوة الإسماعيلية في طول بدخشان وعرضها (وهي منقسمة حالياً بين أفغانستان وطجكستان بنهر جيحون أو آمودريا)، وقد كان لنشاطه في الدعوة أكبر الأثر في انتعاشها في إيران، واتساع دائرة المستجيبين للمذهب الإسماعيلي فيها[66].

4- ثقافة ناصر خسرو:

يعد ناصر خسرو من خيرة الشخصيات اللامعة في تاريخ الأدب الفارسي[67]، إذ كان شاعراً كبيراً وفيلسوفاً ورحالة وداعياً إسماعيلياً، وقد خلف تراثاً غنياً، إذ صنف جملة من المؤلفات القيمة والممتعة في مجالات الرحلات والشعر والفلسفة وغيرها، وفيها أودع خلاصة جهوده الإبداعية، وقد كتب مؤلفاته نثراً وشعراً، وقد صنف معظمها بلغته

الأم الفارسية، فيما كتب بعضها باللغة العربية، غير أن ما هو موجود اليوم جميعه هو باللغة الفارسية، ومن أهم مصنفاته: «سفر نامه[68]»، و«الديوان»[69]، و«زاد المسافرين»[70]، و«شيش فصل»: (الفصول الستة أي الكتاب النثري لروشنائي – نامه)[71]، و«وجه دين»، و«كشايش ورهايش»: (التوقف والتأمل)، و«خوّان الإخوان»: ويعدّ تكملة لكتاب «وجه دين» وكتاب «زاد المسافرين»، و«جامع الحكمتين»[72].

ومن كتبه أيضاً: «الصحيفة»، و«مرآة المحققين» وهما لا يزالان لدى الإسماعيليين النزاريين في شوغان[73]. وهناك كتب أخرى لناصر خسرو، ولكنها مفقودة، ومنها: «كتاب عجائب الصنعة»، و«كتاب لسان العالم»، و«كتاب اختيار الإمام واختيار الإيمان[74]»، وكتاب «غرايب الحساب وعجائب الحساب»، وقد صنفه في الرياضيات، وجعله على طريقة السؤال والجواب، وجمع فيه مئتي مسألة حسابية[75]. وله أيضاً: «دليل المتحيرين»[76]، و«بستان العقول»، و«المفتاح والمصباح[77]»، و«كنز الحقائق»، و«الأكسير الأعظم في الحكمة»[78] وغيرها.

هذا وقد أكسبته كتاباته الفكرية الجادة وسعة علمه وقدراته التحليلية لقب «الحكيم»، ووصف أيضاً بـ «الخواجه»، وبألقاب فخرية أمثال: «شاه»، و«شريف» و«سيد»[79]، كما وصف بالعالم الرحالة ورجل الدين والفيلسوف والشاعر الذائع الصيت في اللغة الفارسية[80].

5- ناصر خسرو رحالة:

كان ناصر خسرو قد قام برحلة استمرت مدة سبع سنوات بين 437هـ- و444هـ/ 1045م-1052م، وفي خلالها زار كثيراً من مناطق المشرق الإسلامي ومدنه، وعانى العديد من الصعوبات التي كان في غنى عنها، ما يدفع للتساؤل عن السبب الذي دفعه للقيام بهذه الرحلة؟ وهل كانت هناك دوافع سياسية أو دينية أو تجارية أو علمية تدفعه للقيام بها؟ وما الصعوبات التي واجهته؟ وهل كان يسير في رحلته وفق ترتيب منظم وخطة مرسومة مسبقاً أم لا؟.

الحقيقة – كما يبدو – أنّ ناصر خسرو كان قد وصل إلى درجة عالية من الثقافة، وقد دفعه فكره المتوقد إلى بحث الفلسفة والأديان، ما أدى به إلى حالة من الاضطراب النفساني والروحي، ودفعه للقيام برحلته من أجل الحج ظاهرياً، وبحثاً عن الهدى والسبيل إلى الحق، وربما كان سببها تحوله إلى الإسماعيلية[81]، وقد يكون قام برحلته هرباً من الأوضاع المتدهورة في المشرق الإسلامي بسبب انتشار الاضطرابات، واشتداد النزاع بين أمراء الأقاليم المختلفة، ولا سيّما بعد انحسار النفوذ الغزنوي من خراسان، وسيطرة السلاجقة التركمان عليها.

ويظهر أن سعة معارف ناصر خسرو قد أدت به إلى حالة من الاضطراب والقلق والتأمل والبحث عن الروح والحقيقة، لذلك بدأ يبحث عما يفرج كربته، ويبدد الشك، ويبعث على الهدوء والاطمئنان، ويوصل إلى الإيمان القوي، فوجد حلَّ ذلك في قراءة القرآن الكريم، وعندما قرأ قوله تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}[82]، وقوله تعالى: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً}[83]، وقوله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً}[84]، عزم على الرحيل إلى حيث الشجرة التي بايع المؤمنون تحتها النبي ﷺعلى أن يقاتلوا معه[85].

في إثر ذلك قرر ناصر خسرو أن يغيّر سلوكه تغييراً جذرياً، فتوجه إلى مرو، وطلب إعفاءه من الوظيفة، وعزم على الحج، وكان ذلك في جمادى الآخر سنة 437هـ/ ديسمبر 1045م[86]، وغادر مرو مستصحباً أخاه أبا سعيد وغلاماً هندياً، اللذين اقتصر على صحبتهما، ما يثير العديد من التساؤلات، ومنها: لماذا لم يرافق غيرهما؟، وهل اقتصر على رفقتهما لأنهما كانا متأثرين مثله بالمذهب الإسماعيلي؟، ولماذا اقتصر على رفقة أخيه أبي سعيد؟، ولماذا لم يرافقه أخوه الآخر الخواجه أبو الفتح عبد الجليل؟، وهل أخذ أخاه أبا سعيد لأنه كان متاثراً مثله بالمذهب الإسماعيلي مثلاً؟، وما دور أبي سعيد

خلال الرحلة؟، وغير ذلك من التساؤلات التي لا توجد إجابات عنها في رحلة ناصر خسرو.

لقد غادر مع صاحبيه مكتفياً بالقليل من المال، فيما ترك بقية أمواله، فزار أذربيجان وأرمينية، والجزيرة الفراتية وبلاد الشام وفلسطين ومصر وشبه الجزيرة العربية والعراق وإيران، وفي خلال رحلته التي استمرت سبع سنوات لاقى كثير من الصعوبات التي لم تكن في حسبانه، إذ كثيراً ما كانت قافلتهما تسير في دروب محفوفة بالمخاطر، تضرب بها عصابات اللصوص، وتهددها الرمال المتحركة وغيرها، فعند عبوره صحراء شبه الجزيرة العربية مع مرافقيه تعرضوا لمخاطر صعبة، وكادوا يهلكون غير مرة، إذ كانت الطريق صعبة جداً، وليس فيها سوى القليل من الطعام أو الماء، قال: «وليس في هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال[87]».

ولم يستطع ناصر خسرو التأقلم مع عادات البدو وطعامهم المتمثل في لبن الجمال ولحم الضباب[88]. وقد وصل في أثناء إقامته في فلج – التي استمرت أربعة أشهر – إلى حالة شديدة من اليأس، وفقد الأمل بالخروج منها، إذ كان الناس هناك جهلاء، ويعيشون (إلى حد كبير) على السرقة وقطع الطريق، ولم يكن يملك غير سلتين من الكتب، لم تجدياه نفعاً مع أولئك السكان الذين لا يقرؤون ولا يقدرون قيمة الكتب، لذلك لجأ إلى استخدام خطه الجميل وبراعته في الزخرفة من أجل تأمين لقمة عيشه، إذ نقش لهم محراب المسجد مقابل مئة من[89] من التمر، فكانت عوناً كبيراً لهم[90].

ولما وصل ناصر خسرو وأخوه إلى البصرة، كانا في حالة مزرية، إذ بدت عليهما ملامح الفقر والمرض والإعياء، وبليت ملابسهما، وطال شعر رأسيهما، واضطر ناصر خسرو إلى بيع السلتين اللتين كانت فيهما كتبه من أجل الذهاب إلى الحمَّام، ولكن الحمامي لم يرق له حالهما، فرفض إدخالهما ظناً منه أنهما مجنونان، قال ناصر خسرو:«فخرجنا في خجل ومشينا مسرعين، وكان بباب الحمام أطفال يلعبون، فحسبونا

مجانين، فجروا في أثرنا، ورشقونا بالحجارة وصاحوا بنا، فلجأنا إلى زاوية، وقد تملكنا العجبُ من أمر الدنيا[91]».

ومن الأهمية الإشارة إلى أن ناصر خسرو لم يكن يأبه للصعوبات التي قد تواجهه، بل إنه غامر أحياناً بزيارة بعض المناطق على الرغم من تحذيره من المخاطر التي قد تعترضه في الطريق، فعندما كان في عكا، وأراد زيارة مشاهد الأنبياء والصالحين في الجبل شرقي عكا، نصحه بعض سكان عكا قائلين له: «إن في الطريق أشراراً يتعرضون لمن يرون من الغرباء وينهبونهم»، غير أنه لم يبالِ بذلك التحذير، بل أودع نفقته – من باب الحيطة – في مسجد عكا، واتجه لزيارة تلك المشاهد[92].

ولم يكن ناصر خسرو يسير في رحلته وفقاً لترتيب سابق مرسوم، بل كانت الحوادث هي التي تسيّره، كما لم يكن في حسبانه الصعوبات التي قد يواجهها، وكان كل ما استعد له في أمر الرحلة، قاصراً على زيارة مكة، ثم زيارة مصر على ألاّ يطيل الإقامة فيها، ثم العودة إلى مكة مرة أخرى، وقد اعتمد على قوة شخصيته وحذقه وفطنته وسعة علمه في كثير من الأحيان لتجاوز تلك الصعوبات، فهو الرجل الذائع الصيت الذي يعرفه كبار القوم، فإن أصابه ضرٌ أو ألمَّت به مصيبةٌ، استطاع أن يجد عون الأصدقاء ليبدلوا عسره يساراً. فعندما اضطر إلى الإقامة في عيذاب ثلاثة أشهر، لجأ إلى وكيل صديق له كان قد عرفه في أسوان ليأخذ منه ما احتاج من الدقيق[93]، وعندما استأجر جملاً لينقله من فلج إلى البصرة، فلما بلغها لم يكن معه الأجر الذي اتفق عليه، لذلك راسل وزير أمير الأهواز[94]، فرحب به، وأضافه خمسة وأربعين يوماً، ودفع ما عليه من دين للجمّال[95]. وحين وصل مهروبان، وأراد أن ينتقل إلى أرجان، كانت الطريق غير آمنة ومليئة بالمخاطر، لذلك كتب إلى وجيه من وجهاء أرجان، فأرسل إليه ثلاثين فارساً صحبوه آمناً إليها[96].

هذا ويمكن تقسيم رحلته إلى ثلاث مراحل هي:

– المرحلة الأولى: تشمل قسم الذهاب بدءاً من بلده وصولاً إلى مصر، وتبدأ منذ قيامه من مرو في ربيع الآخر سنة 437هـ/ أكتوبر عام 1045م، وتنتهي ببلوغه القاهرة في السابع من شهر صفر سنة 439 هـ/ أغسطس عام 1047م.

– المرحلة الثانية: تشمل مدة إقامته في مصر التي استمرت من السابع من صفر سنة 439هـ/ أغسطس عام 1047م إلى حين مغادرته منها وبلوغه جدة في أواخر جمادى الآخر سنة 442هـ/ أكتوبر عام 1050م.

– المرحلة الثالثة: تشمل قسم الإياب والعودة من مصر إلى بلده عن طريق الحجاز وفلج والحسا والبصرة، وتبدأ منذ وصوله جدة في أواخر جمادى الآخر سنة 442هـ/ أكتوبر عام 1050م، وتنتهي مع بلوغه بلخ في السادس والعشرين من جمادى الآخر سنة 444هـ/ 26 أكتوبر عام 1052م[97].

ويبدو أن ناصر خسرو كان دائم القراءة والمطالعة خلال رحلته بدليل حمله بعض كتبه معه[98]، والمناظرات والجلسات التي عقدها مع بعض رجال العلم الذين التقى بهم في صنوف شتى من حقول المعرفة، هذا ولم يقتصر على لقاء رجال العلم، بل التقى أيضاً ورافق العديد من الأشخاص البارزين في الميادين المختلفة، وفي خلال تلك اللقاءات برزت مكانة ناصر خسرو العلمية وسعة معارفه، فحظي بالتقدير من الذين التقاهم، وقدموا له كل العون والمساعدة، على أن بعض الشخصيات التي التقاها قد تبقى مجهولة بالنسبة إلينا، لأنه لم يقدم مزيداً من المعلومات عنها، وبسبب عدم وجود ترجمة لها في المصادر المتوافرة.

ففي المرحلة الأولى مكث في سمنان[99] زمناً، وتعرف بأهل العلم، ومنهم رجل اسمه علي النسائي(؟)[100]، ورأى في شميران[101] رجلاً طيباً من دربند[102] اسمه أبو الفضل خليفة بن علي الفيلسوف(؟)[103]. والتقى في تبريز[104] بالشاعر قطران[105]. وعندما وصف معرة النعمان، ذكر فيلسوفها وشاعرها أبا العلاء المعري، دون أن يبين إن

كان قد التقى به أم لا، ولكنه أبدى إعجابه بذكائه وسمعته وشخصيته، وأشاد بعلمه ومكانته في تاريخ الأدب العربي[106].

أمّا المرحلة الثانية من رحلة ناصر خسرو، فهي إقامته في مصر، وفي خلالها التقى بالعديد من الشخصيات البارزة في البلاط الفاطمي[107]، وتعرف في أسوان برجلٍ صالحٍ تقي اسمه أبو عبد الله محمد بن قليج(؟) كان يعرف شيئاً من علم المنطق[108].

والتقى في المرحلة الثالثة من رحلته بالعديد من الأشخاص، فعندما وصل إلى جدة، ذهب إلى أميرها، فأكرم وفادته وأعفاه مّما كان يجب عليه من المكس (الضريبة)، ولم يطالبه بها، وكتب إلى مكة لتقديره واحترامه قائلاً عنه: «هذا رجلٌ عالمٌ فلا يجوز أن يؤخذ شيءٌ منه[109]»، والتقى في القطيف بأمير عربي(؟) كان قد رابط هناك مدة سنة في محاولة للاستيلاء عليها[110]، ولما وصل ناصر خسرو وأخوه إلى البصرة، كانا يعانيان من الفقر والفاقة، وكان الأعرابي الذي أوصلهما إليها، يطالب بالثلاثين ديناراً المتفق عليها كأجرةٍ لنقلهما إليها، فاتصل ناصر بوزير ملك الأهواز واسمه أبو الفتح علي بن أحمد(؟) عن طريق أحد أصدقاء هذا الوزير، فساعدهم الوزير على تجاوز محنتهما، وأمدهما بالمال، ودفع للأعرابي الثلاثين ديناراً، واستضافهم مدة شهر ونصف، وفي خلالها أفاضهم بمزيد من نعمه وأفضاله[111]. وحين وصل ناصر إلى أرجان، التقى بعلماء دين، وأجرى مناظرات ومناقشات علمية مع إمام المعتزلة أبي سعيد البصري(؟) في علوم الكلام والهندسة والحساب[112]. وعندما وصل إلى طبس[113]، التقى بأميرها أبي الحسن كيلكي بن محمد الذي بسط الأمن فيها، فأضافه ومن معه، واستبقاهم عنده سبعة عشر يوماً، وأمر لهم بصلاتٍ وقت الرحيل، وأرسل معهم أحد فرسانه لإيصالهم إلى زوزن[114] التي تقع على مسافة اثنين وسبعين فرسخاً[115].

وأقام ناصر في مدينة قاين مدة شهر بسبب ثورة في زوزن، وفي خلالها أجرى مناظرة في الفلك مع أبي منصور محمد بن دوست(؟) الذي كان عالماً ملماً بكل علم من طبٍ وفلكٍ ومنطقٍ[116]. وفي نهاية الرحلة لما وصل ناصر خسرو إلى خراسان، التقى

وشقيقه أبو سعيد بأخيهما الخواجة أبي الفتح عبد الجليل الذي كان يعمل في حاشية أمير خراسان بعد غياب استمر سبع سنوات[117].

هذا ولم يبين ناصر خسرو الأسباب التي دفعت بعض الأشخاص السالفي الذكر لمساعدته وقت الأزمات التي ألمّت به، ما يدفع للتساؤل: هل كانت مساعدتهم له بسبب سعة معارفه ومكانته العلمية؟، أم بسبب شهرته كموظف حكومي لدى الغزنويين والسلاجقة في ديوان الإنشاء؟، أم بسبب اعتناقه المذهب الفاطمي، وتكليفه (حجة) على خراسان؟. ودون أدنى شك ساعده بعض الأشخاص احتراماً لعلمه، فيما ساعده بعضهم لاعتناقه المذهب الفاطمي أمثال "أمير جدة" وغيره، كذلك من المرجح أنّ بعض الذين وقفوا إلى جانبه، ومدوا له يد العون، يعود لشهرته موظفاً حكومياً لدى الغزنويين والسلاجقة ولاسيّما أمثال الشيخ محمد بن عبد الملك في أرجان الذي ساعده في الانتقال من مهروبان، وغيره.

6- كتابة ناصر خسرو الرحلة:

لم يذكر ناصر خسرو في رحلته (سفر نامه) – بصراحة – التاريخ الذي صنفها فيه، ما يدفع للتساؤل متى كتب رحلته؟ وهل كتبها في الأصل رحلة (أي وقت الرحلة)، أم كتبها بعد عودته إلى وطنه كتقرير عن رحلته؟ وما سبب كتابته لها؟ ولمن كتب رحلته، أو لمن توجه في خطابه؟.

الحقيقة إن ناصر خسرو لم يشر إلى ما سلف بوضوح، ولكن مع ذلك فإنّ في نص الرحلة الذي بين أيدينا بعض الإشارات التي جاءت في إطار هذه الجوانب، والتي قد تفيد في الإجابة عن الأسئلة المتقدمة. فقد ورد العديد من الأقوال التي تؤكد بأنه صنف الرحلة بعد عودته إلى خراسان، وأنها ليست مجرد يوميات رحلته، فحين حج من بيت المقدس في سنة 438هـ/ 1047م، وعاد إليها، قال: «ولا أذكر هنا وصف مكة والحج، سأذكر ذلك عند الكلام على الحجة الأخيرة[118]»، وحين حج من مصر في سنة 439 هـ/ 1048م وعاد إليها، قال: «ولا أذكر مناسك الحج ووصف مكة الآن، سأذكر

ذلك عند ذكر آخر نوبة للحج، حين بقيت ستة أشهر بمكة مجاوراً، وسأشرح ما رأيت»[119]، وعندما تحدث عن فلج في شبه الجزيرة العربية، وصف طيبة تمرها مقارنة بتمر البصرة، وهو من المفروض أن يكون ما زال في فلج، ولمّا يصل بعد إلى البصرة ليتذوق طعمة تمرها ولذته، قال: «وقد رأيت هناك[في فلج] تمراً طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها[120]»، ومن خلال هذه الأقوال يظهر أنه دوّن رحلته بعد عودته منها، أي كتبها كتقريرٍ عن رحلته.

هذا وتختلف الدراسات في إعطاء تاريخ دقيق لزمن كتابتها، فهناك من جعل كتابتها قبل سنة 453هـ/ 1061م، وهناك من قال أنّ كتابتها كانت بعد سنة 455هـ/ 1063م، استناداً إلى أنّ ناصر خسرو قال: «ولما استولى السلطان طغرل بيك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق رحمة الله عليه على هذه المدينة [أصفهان] ولّى عليها شاباً نيسابورياً[121]»، فجملة «رحمة الله عليه» تفيد بأنّ طغرلبك كان قد توفي لما كتب رحلته، والمعروف أنّ طغرلبك توفي سنة 455هـ/ 1063م، ومن ثمّ فإنّ ناصر خسرو صنفها بعد ذلك التاريخ، غير أن مترجم «سفر نامه» إلى العربية استبعد أن جملة «رحمة الله عليه» دليل كافٍ لتعرّف تاريخ كتابة الرحلة لأنّها قد تكون من إضافات النسّاخ وغير أصيلة، ورجح أن ناصر خسرو وضع رحلته بعد عودته مباشرة إلى خراسان من رحلة السنوات السبع، وقبل أن يندفع في الطريقة الجديدة التي اصطبغت بها حياته فيما بعد، وهي الدعوة للمذهب الإسماعيلي الفاطمي، والتي جعلت منه عدواً خطراً على الدولة السلجوقية، وعلى مذهبها الرسمي السني، وصاحب فرقة يدعو إليها، ويضطر إلى الاختفاء في الجبال من أجلها[122]، ولعل ما يرجح ذلك خلو كتابه من أية إشارة صريحة إلى مذهبه الجديد الذي اعتنقه وقت كان في مصر.

وقد اعتمد في تصنيفه على المذكرات التي دوّنها في أثناء الرحلة، والرسوم التي عملها للطريق، فقد قال بعدما وصف جامع بيت المقدس: «هذا ما رأيت في جامع بيت المقدس، وقد صورته وضممته إلى مذكراتي[123]»، وفي هذا ما يشير إلى أنه كان

يدوّن مذكرات خلال سفره يوماً فيوماً، ولم يكن يكتبها على أساس أنها رحلة، ولما عاد إلى وطنه، صنف كتاب «سفر نامه» معتمداً على الوقائع التي تجمعت لديه، والملاحظات الجاهزة أمامه بالتواريخ والمسافات وأسماء المدن، فقام بنسخها ونسجها بعضها مع بعض بأدنى حد من التعليق، وهذا ما مكّنه من الدقة في الوصف ولا سيما وصف الأبنية والمشاهد المقدسة، وضبط الأسماء والأرقام التي أوردها، وهي ممّا لا يعلق بالذاكرة تلك المدة الطويلة التي امتدت إليها رحلته. وهكذا فإنه لمّا عاد إلى خراسان، أخذ يدون يوميات رحلته كتقارير عما رآه وشاهده وسمعه واختبره بنفسه في خلالها، وهي الرحلة التي سمَّاها «سفر نامه» أي مذكرات السفر، وقد راعى في كتابتها التسلسل الذي سار عليه خلال الرحلة، فعرض فيها الأحداث التي حصلت معه، والمشاهدات التي رآها وفقاً لزمن حدوثها ومكانه.

أمّا عن سبب كتابته لها، فلم يذكر ذلك بوضوح، واكتفى بالإشارة إلى أنّه لم يكن مدفوعاً إلى كتابتها بأية دوافع سياسية أو دينية أو تجارية أو غيرها، وذلك من قوله: «ليس لي قصد فيما ذكرت[124]»، غير أنّ هذا ليس كافياً لتعليل سبب كتابته لها، والراجح أنّ هناك أسباباً أخرى لكتابتها، ةلا سيّما أنّه كان قد اعتنق المذهب الإسماعيلي الفاطمي، فأصبح من كبار الدعاة له، وكلف للقيام بأمر الدعوة في خراسان، وهذا ما يدفع للتساؤل: هل كتب ناصر خسرو رحلته "سفر نامه" بأمر من الدولة الفاطمية، التي كانت على درجة عالية من التنظيم، وكانت ترنو بأنظارها لتوسيع مناطق نفوذها؟ وهل كان الهدف من كتابتها هو تقديم تقرير وافٍ عن أوضاع المشرق الإسلامي لمركز الدعوة الإسماعيلية في القاهرة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي قد تبقى دون إجابات، لعدم توافر ما يفيد في الإجابة عنها في رحلة ناصر خسرو وكتاباته الأخرى، أو في المصادر والمراجع التي تحدثت عنه.

ويظهر بوضوح أنّ ناصر خسرو– وهو ينتقي ما يدوّن من أخبار رحلته– قد احتفظ في ذهنه بجمهوره الخاص الذي توجه إليه في خطابه، وأنّ هذا الجمهور هو

سكان خراسان الناطقين بالفارسية، وكانت حدود خراسان آنذاك تمتد على مساحة واسعة مما يعرف اليوم بآسية الوسطى وأفغانستان، وقد ذكر خراسان وفارس في كثير من الأقوال من مثل قوله: «ورأيت أموالاً يملكها بعض المصريين لو ذكرتها أو وصفتها لما صدقني الناس في فارس، فإني لا أستطيع أن أحدد أموالهم أو أحصرهم[125]».

كما ركز على ما يثير دهشة جمهوره من الخراسانيين، فعرض لبعض الإنتاج المتنوع في المناخ الأكثر دفئاً ولا سيّما في مصر مقارنة بمناخ خراسان القاري البعيد عن البحر[126]، وذكر بعض الأشياء الفارسية التي قد تهم قراءه القاطنين في موطنه خراسان[127]، وأحياناً كان يوضّح لقرائه من الفرس بعض الأمور التي رواها، والتي قد تكون غير معلومة بالنسبة إليهم من مثل قوله: «إن طول [المسجد الأقصى] أربع وخمسون وسبعمائة ذراع، وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع، وذلك «بذراع الملك» المسمى في خراسان «كزشايكان»، وهو أقل قليلاً من ذراع ونصف[128]».

وذكر بعض الأشخاص من الفرس الذين قابلهم في طريقه، أو سمع عنهم[129]، ويضاف إلى ما تقدم أنّه كتب «سفر نامه» باللغة الفارسية، واستخدم فيها التقويم الفارسي القديم[130] إلى جانب التقويم الهجري، والسؤال هنا، لماذا توجه ناصر خسرو بخطابه إلى جمهوره من سكان خراسان الناطقين بالفارسية؟ ولماذا لم يوجهه لغيرهم؟.

الواقع أن ذلك يعود لأنّه كان مقتنعاً بتفوق التراث الفارسي واللغة الفارسية وآدابها وثقافتها على ما سواها، فكان فخوراً جداً بماضي ثقافته وإنجازاتها في آن معاً، لذلك كان يريد أن يرعى لغته الأم ويحميها من عبث العابثين والعاجزين عن استيعاب دقائق هذه اللغة وفهمها، ولا شك أنّه من جانب آخر كان يشعر بمرارة من جراء انحطاط الثقافة الفارسية بسبب الأحداث السياسية في زمنه، وسيطرة الأتراك السلاجقة على خراسان الناطقة بالفارسية، وهم برابرة جفاة الطباع لا يصلحون أن يكونوا سوى خدماً[131].

هذا ويعتقد أنّ كتاب «سفر نامه» الذي وصلنا ليس الكتاب الأساسي الذي كتبه ناصر خسرو، بل إنه مختصر عنه، وقد أعدَّه بعض النساخ عن «سفر نامه» آخر أطول منه، ويؤكد ذلك ما يرد في الكتاب في أثناء الحديث عن وصف مسجد الجمعة في ميافارقين« ويطول وصف مسجد الجمعة بها لو ذكرته، ولو أنّ صاحب الكتاب شرح كل شيء أتمَّ الشرح[132]»، ومّما يقوي هذا الرأي قول ناصر خسرو في وصف جامع بيت المقدس: «هذا ما رأيت في جامع بيت المقدس، وقد صوَّرته وضممته إلى مذكراتي[133]»، وقوله عن زنجبار[134] والحبشة[135]: «وسأشرح ذلك في مكانه[136]»، غير أنّه لم يرد في الكتاب وصف زنجبار والحبشة، كما لم يرد فيه الصور التي وضعها للمسجد الجامع ببيت المقدس. ويضاف إلى ما تقدم أنّه حين تحدث عن عيذاب قال: «حينما كنت في أسوان، كان لي صديق ذكرت اسمه قبلاً، وهو أبو عبد الله محمد بن قليج[137]»، ولكن لدى التدقيق في الكتاب تبيّن أنّ هذا الاسم لم يذكر من قبل في الكتاب، ولم يذكر غير مرة واحدة، وهي التي سلفت الإشارة إليها، وفي هذا ما يزيد التأكيد أن النص الحالي للكتاب ليس كاملاً، بل هو اختصار لكتاب أطول منه وأغنى بالتفاصيل، وتنقصه الصور وبعض الأوصاف التي وعد بها.

7- منهج ناصر خسرو واهتماماته في الرحلة:

كان ناصر خسرو دقيق الملاحظة وشديد العناية بتقصي الأخبار وروايتها، وأميناً في كتابته، إذ اعتمد في تدوين أخبار رحلته بشكل رئيس على مشاهداته، وقراءاته بعض الشواهد الكتابية، وقياساته التي أجراها بنفسه، وإلى جانب ذلك، أورد بعض الأخبار التاريخية التي سمعها، وصدّرها بكلمة «سمعتُ»، و«قيلَ»، و«يقولُ العوام»، و«يقال»، و«حكى لي[138]» وغيرها، وجعل مسؤولية صدق هذه الأخبار على راويها[139]،إذ قال: «ولم أكتب إلا ما رأيت، وأمّا ما سمعته ثم كتبته، فليست عهدته عليَّ[140]»، وأشار إلى أنه يدوّن ما يقوله «عن بصيرة، لا شيء فيه من الأراجيف[141]»؛ وقال في آخر رحلته: «وقد وصفت بأمانة ما رأيت في رحلتي، وأمّا ما

سـمعته وكـان عليـه اعتـراض، فـلا ينسـبه القـرَّاء إلـيَّ ولا يؤاخـذونني أو يلومـونني عليه[142]».

ولم يكن يقتنع هذا الرحالة بكل ما كان يسمع، ويقال له، بل كان يستجلي الأمر بنفسه، فعندما أخبره السكان المحليون في بيت المقدس أنّ من يذهب إلى نهاية وادي جهنم في مدينتهم، يسمع الصدى الذي يرتفع من صراخ الناس في جهنم، فذهب إلى هناك ليسمع بنفسه، قال: «وقد ذهبت فلم أسمع شيئاً[143]».كذلك كان يسأل الناس ويستوضحهم عن بعض المشاهدات التي لفتت انتباهه، وذلك بدافع حب الاطلاع، فعندما رأى الناس في بطليس في أرمينية يطوفون بالجبل، ويقطعون أشجاراً تشبه السرو، سألهم: «ماذا تعملون بها»، فشرحوا له كيف يستخرجون منها القطران الذي يصدرونه إلى الأطراف[144].

وكثيراً ما قام ناصر خسرو بقياس بعض الأماكن والأبنية التي شاهدها، قال: «ورأيت مدينة حلب، فإذا هي جميلة، بها سور عظيم، قستُ ارتفاعه، فكان خمساً وعشرين ذراعاً[145]»، وقاس العمود الحجري الذي لطلسم العقرب على باب معرة النعمان، «فكان ارتفاعه عشرة أذرع[146]»، ورأى بناءً كبيراً في بيروت، فقاس كل حجرٍ منه، «فإذا به ثمانية أذرع طولاً وأربعة عرضاً، وأظنُ الحجر الواحد يزن سبعة آلافٍ منّ[147]»، ومسح مدينة عكا، «فكان طولها ألفيّ ذراع وعرضها خمسمئة[148]». وأمضى بعض الوقت في معاينة المسجد الأقصى وقبة الصخرة لمعرفة هيأته ووضعه قبل أن يقوم بقياسه، فلاحظ في أثناء ذلك عند الجانب الشمالي بجوار قبة يعقوب عليه السلام نقشاً كتب عليه الأبعاد الدقيقة للحرم، مما وفَّر عليه القيام بتلك القياسات[149].

هذا ولم يقتصر ناصر خسرو على تدوين ما شاهده وسمعه واختبره وقاسه بنفسه، بل إنّه علَّق أحياناً تعليقاً بسيطاً عمّا يكتب مبدياً رأيه بما يشاهد، وتتمثل العبارات التي استخدمها في التعليق في أقواله: "لم أرَ مثله أو مثلها"، "لم أرَ أعجب منها"، "ليس لها نظير"، و"لا مثيل لها في العالم"[150] وغيرها، فقد قال عن مدينة آمد بعدما وصفها:

«وقد رأيت كثيراً من المدن والقلاع في أطراف العالم في بلاد العرب والعجم والهند والترك، ولكني لم أرَ قط مثل مدينة آمد، في أي مكان على وجه الأرض، ومسجدها الجامع من الحجر الأسود، وليس مثله متانة وإحكاماً[151]».

وقال عن قبة الصخرة: «ورأيت قبةً من الحجر المنحوت مقامة على بيتٍ لم أر أعجب منها، حتى إن الناظر إليها ليسأل نفسه كيف رفعت في مكانها؟ ويقول العامة: إنها بيت فرعون[152]». وأبدى إعجابه بكنيسة القيامة، فقال عنها: «وليس لهذه الكنيسة نظير في أي جهة من العالم[153]». وعلَّق على زراعة الأشجار الغضة في مصر: «ولم أرَ هذا النظام في أي مكان آخر كما أني لم أسمع به، والحق إنه نظام جميل جداً[154]».

ويظهر من خلال كتاب الرحلة «سفر نامه» الذي بين أيدينا أنّ ناصر خسرو لجأ إلى الاختصار أحياناً، ولا يعرف إن كان هذا الاختصار من قبل ناصر خسرو نفسه أم من قبل أحد النسّاخ الذي نسخ هذه الرحلة، واختصرها كما أسلفنا من قبل، ومن ذلك قوله: «إن الكلام ليطول إذا ذكرتُ كل ما يكون في يوم فتح الخليج» بمصر[155]، وكان للخليفة الفاطمي إحدى وعشرون سفينةً في حوض خاص قرب القصر، «ولو وصفتها لسطرتُ أوراقاً كثيرة[156]»، ولو وصفت الأفراح التي أقيمت لمّا وُلِدَ للخليفة الفاطمي مولودُ «لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول، ولما صدقوني[157]»،وبلغ التخت الذي للخليفة الفاطمي «من العظمة أني لو قصرت هذا الكتاب كله على وصفه ما استوفيت الكلام، وما كفى[158]»، ويضاف إلى ما سلف ما قاله عن أموال بعض المصريين[159]، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، ولا يعرف إن كان قد قال الأقوال السالفة من أجل الاختصار فقط أم أنها في إطار المبالغة، وفي سبيل الدعاية للمذهب الإسماعيلي الفاطمي، ورفع مكانة مصر في عصر تلك الخلافة؟!، وذلك أن جميع هذه الأقوال التي تشير إلى الاختصار وردت في القسم الموقوف على وصف مصر.

فقد شكلت أطوال المسافات التي قطعها ناصر خسرو بين منطقة وأخرى عنصراً رئيساً في رحلته، إذ كثيراً ما يشير إلى المسافة التي قطعها من مدينة الى أخرى، أو من بلدة إلى أخرى[160]، كما كان يشير أحياناً إلى المسافة التي قطعها منذ خروجه من خراسان إلى البلدة التي هو فيها، فعندما وصل إلى ميافارقين، ذكر أنّ المسافة من بلخ إليها على الطريق الذي اجتازه اثنان وخمسون وخمسمئة فرسخاً[161]، وحين وصل بيت المقدس ذكر أن المسافة من بلخ إليها تبلغ ستة وسبعين وثمانمائة فرسخاً[162]، وقدّر المسافة التي قطعها في طريق عودته من البصرة إلى سرخس بـ «تسعين وثلاثمئة فرسخاً[163]»، هذا ويبلغ مجموع المسافة التي قطعها في رحلته من بلخ إلى مصر، ومن مصر إلى مكة، ومنها إلى فارس عن طريق البصرة ثم إلى بلخ – عدا الأطراف التي زارها في الطريق – ألفين ومئتين وعشرين فرسخاً[164].

أمّا وحدة القياس التي استخدمها لقياس المسافات بشكل عام فهي الفرسخ[165]، كما استخدم الميل[166]، والمرحلة[167] أحياناً.

وكان مهتماً بوصف الطرق، وما شاهده فيها من عجائب الطبيعة، وما اتخذه الناس فيها لمساعدة المسافرين وإرشادهم، وما في هذه الطرق من النباتات والأشجار والقرى والمدن والأبنية وغيرها، فقد لاحظ أن الطريق بعد مدينة أخلاط قد غرس الناس فيها «عمداً ليسير المسافرون على هديها أيام الثلج والضباب[168]».

وهناك من آمد إلى حران طريقان «أحدهما لا عمران فيه، وهو أربعون فرسخاً، والثاني به أماكن معمورة، وقرى كثيرة معظم أهلها من النصارى، وهو ستون فرسخاً، وقد سرنا مع القافلة في هذا الطريق، وكانت الصحراء غايةً في الاستواء، إلاّ أنّ بها أحجاراً كثيرة بحيث لا تستطيع الدواب أن تخطو خطوة واحدة من غير أن تعثر بحجرٍ تحت حوافرها[169]». ويوجد في الطريق من عكا إلى حيفا كثيرٌ من الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم والمسمى بالرمل المكي[170]، وتنحرف الطريق بعد حيفا بفرسخ واحد عن البحر نحو الجبل حيث الصحراوات والمحاجر التي تسمى وادي التماسيح، «وهناك رأينا

عظام حيوانات بحرية كثيرة مختلطة بالتراب والطين، وقد تحجرت من كثرة ما ثار عليها من الموج»[171].

وتمر الطريق من أسوان إلى عيذاب في صحراء لا ماء فيها، ولا يمكن التوقف إلا في المنازل المعلومة لتعذر وجود ما توقد به النار في غيرها، «وكانت الإبل تعلم أنّها ان أبطأت ماتت عطشاً، فهي تسير غير محتاجة لأن يسوقها أحد، متجهةً من تلقاء نفسها ناحية المشرق في هذه الصحارى حيث لا أثر أو علامة تدل على الطريق، وهناك أمكنة يقلُّ فيها الماء مسافة خمسة عشر فرسخاً، ويكون ملحاً، وأمكنة لا يوجد فيه ماء قط، مسافة ثلاثين أو أربعين فرسخاً[172]».

واتجه من أصفهان إلى قرية هيثم آباد ثم منها إلى قصبة نايين عن طريق الصحراء وجبل مسكين، ومن نايين اتجه نحو ناحية طبس في طريق صحراوي لا ماء فيه، كثير الرمال المتحركة، والسباخ المالحة، وفي هذا الطريق الصحراوي شيدت بين كل فرسخين قبابٌ صغيرة وخزانات يتجمع فيها ماء المطر، وقد شيدت القباب لهداية المسافرين حتى لا يضلوا الطريق، ولكي يأووا إليها ساعات في الحر والبرد، ولولا هذه الأحواض (الخزانات) لما استطاع أحد اجتياز هذه المفازة (الصحراء)، وهم في خوف من اللصوص[173]، «وقد رأينا في الطريق الرمل المتحرك، وكل من يتحول عن العلامات (التي وضعت في الطريق للإرشاد)، فإنّه لا يستطيع الخروج من وسط هذا الرمل ويهلك، وبدا لنا طوال ستة فراسخ أرض ملحة متحركة يختفي فيها من ينحرف إليها عن الطريق المحدود[174]».

كان معظم رحلات ناصر خسرو عن طريق البر، ولكنه قطع بعض المسافات بحراً أو نهراً، فعندما عزم على مغادرة بيت المقدس إلى مصر، تعذر عليه السفر عن طريق البحر لأنّ الريح كانت معاكسة، لذلك سار عن طريق البر حتى وصل طينة[175]، وهي مرفأ للسفن الذاهبة إلى تنيس، فركب السفينة إليها[176]، وغادر تنيس نحو القاهرة بالسفينة عبر نهر النيل، ولما بلغ الصالحية، نزل السفينة، ومنها بلغ

القاهرة[177]، وحج من مصر مرتين عن طريق القلزم بالسفينة إلى الجار على ساحل الحجاز[178]، وغادر الفسطاط نحو الصعيد الأعلى بالسفينة عن طريق نهر النيل، فسار فيه من أخميم إلى مدينة أسوان[179]، وعبر بحر القلزم[180] من عيذاب إلى جدة بالسفينة[181]، وركب البحر من البصرة إلى فارس، حيث سار من البصرة بزورقٍ في نهر الأبلة، ولما بلغ الأبلة ركب سفينة كبيرة تسمى «بوصي» إلى عبادان[182].

هذا ولا يعرف مقدار المسافة التي قطعها ماشياً على قدميه، ولكن من المؤكد أنّ بعض مراحل رحلته كانت سيراً على قدميه، فقد انطلق للحج من بيت المقدس في منتصف ذي القعدة سنة 438هـ/ أيار 1047م ماشياً على قدميه[183]، وكذلك سار راجلاً من فلج نحو البصرة[184].

واهتم ناصر خسرو بأمر الزمن، إذ كثيراً ما يشير إلى تاريخ الوصول إلى منطقة ما، والمغادرة منها، وذلك في اليوم والشهر والسنة، كما ذكر تاريخ بعض الحوادث والوقائع التي شاهدها[185]، هذا ولم يتوقف خلال القسم الأول من رحلته حتى وصل بيت المقدس، إذ قال: «وفي الخامس من رمضان سنة 438هـ/ 16 مارس 1047م بلغنا بيت المقدس، وكان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية[186]، وطوال رحلتنا لم نقر في مكان قط ولا وجدنا راحة كاملة[187]»، وقد أقام في بيت المقدس مدة أربعة أشهر ما مكَّنه من تقديم وصف مهم ومفصّل لأبنيتها وعمائرها المختلفة، في حين أنّ إقامته في مصر امتدت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، أمّا المرحلة الأخيرة من رحلته، فقد استمرت نحو سنتين.

وأشار إلى المدد الزمنية التي قضاها في بعض المناطق، فقد أقام في أخميم من مدن الصعيد بمصر عشرين يوماً، وفي أسوان واحداً وعشرين يوماً[188]، وبقي في عيذاب ثلاثة أشهر لأن السفينة لم تقلع لأن الريح شمالية، في حين كان يلزم للإبحار ريح الجنوب، وفي خلال هذه الأشهر عمل خطيباً للناس فيها[189]، ومكث في مكة ستة أشهر سنة 442هـ/ 1051م[190]، وعاش في وسط الأعراب والبدو في شبه الجزيرة

العربية تسعة أشهر دفعة واحدة بلا انقطاع[191]، فقد أقام في قلعة جزع خمسة عشر يوماً لعدم وجود خفير (حارس) يرشدهم في الطريق، وأقام في فلج أربعة أشهر[192]، ولبث بمهروبان من بلاد فارس زمناً لأن الطرق لم تكن آمنة لما بين أبناء أبي كاليجار البويهي من الحروب[193]، وأقام في أصفهان عشرين يوماً بسبب تأخر قيام القافلة[194].

وكان ناصر خسرو خلال رحلته مهتماً بزيارة المشاهد الدينية، وقبور الصالحين والأولياء، وتقديم الصلوات والأدعية المناسبة لكل منها، ففي بسطام[195]، قام بزيارة مشهد الشيخ الصوفي المشهور أبي يزيد البسطامي[196]، ووصل بعد مدينة بطليس إلى مكان به جامع يقال: بناه أويس القرني، وهو من التابعين للصحابة[197]، وزار مشاهد الأنبياء والصالحين في الجبل شرقي عكا، ووصف بعناية مشاهد الصالحين والأماكن المقدسة في بيت المقدس، وصلّى في العديد منها[198]، وحج إلى مكة المكرمة أربع مرات، أما الأولى، فكانت من بيت المقدس سنة 438هـ/ 1047م ثم عاد إليها عن طريق الشام، وحج المرتين الثانية والثالثة من مصر برفقة وفد الخليفة الفاطمي الذي يحمل الكسوة للكعبة، وذلك خلال السنتين 439هـ/ 1048م، و440هـ/ 1049م، وكانت حجته الرابعة في سنة 442هـ/ 1051م، في طريق عودته من مصر إلى بلخ[199]، كما زار خلال إقامته في البصرة الثلاثة عشر مشهداً المسماة باسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها[200].

وركز ناصر خسرو على تسمية بعض المدن وموقعها، فمدينة أخلاط تقع على الحدود بين بلاد المسلمين والأرمن، ويتكلم سكانها ثلاث لغات هي العربية والفارسية والأرمينية، ورجّح أنّها لذلك سميت بـ «أخلاط[201]»، وأبدى دهشته لأنّ أهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس «القدس»، وليس «بيت المقدس[202]»، وروى أن عكا تكتب في بلاد الشام «مدينة عكة[203]».

ولم ينسَ وصف المناخ وحالة الطقس في بعض المناطق، فعندما غادر أخلاط في العشرين من جمادى الأول سنة 438هـ/ 24 نوفمبر 1046م «كانت السماء تمطر ثلجاً، والبرد قاسياً»[204]، ومع ذلك لمّا وصل ميافارقين بعد ستة أيام من مغادرته أخلاط، «كانت أوراق الشجر حينئذ لا تزال خضراء»[205]، وحين وصل الطائف في ذي الحجة سنة 442هـ/ مايو . يونيو 1051م «كان الجو بارداً... حتى لزم الجلوس في الشمس[206]»، ولما وصل البصرة في 28 شعبان سنة 443هـ/ 28 ديسمبر 1051م كان الفصل شتاءً والجو بارداً، قال: «فأردت أن أذهب إلى الحمَّام ألتمس الدفء[207]».

8- أهمية رحلة ناصر خسرو ومحتواها:

قال حاجي خليفة عن أهمية «كتاب سفر نامه» ومحتواه: «ذكر فيه ما طاف من أكثر المعمورة من البلاد، وما جرى بينه وبين أكابر البلدان من المحاورات واللطائف[208]»، وعلى أهمية ما ذكره حاجي خليفة، ولكنه لا يعبر تعبيراً كاملاً عمّا تضمنه كتاب الرحلة، هذا وقد رأى المستشرق الروسي كراتشكوفسكي أن رحلة ناصر خسرو لا تندرج في إطار كتب الجغرافية التاريخية عند العرب والمسلمين، وإنما في إطار «كتب الزيارات»[209]، غير أنّه كما يلاحظ أن ناصر خسرو لم يوقف رحلته للحديث عن زياراته أضرحة الأولياء والصالحين والأماكن المقدسة، ووصف تلك الأضرحة والأماكن، وما يكون فيها من الأدعية الدينية، بل إنه وصف المناطق التي زارها، وتحدث عما شاهده ورآه وسمعه في مجالات الحياة المختلفة، وفي هذا ما يجعل كتابه ضمن إطار كتب الرحلات والجغرافية التاريخية عند العرب والمسلمين.

ومع ما اتسم به من دقة الملاحظة، لكنّه – كما يظهر – لم يكتب رحلته لغرضٍ علميٍ وإنما كان هدفه أن يقدم وصفاً لما رآه وسمعه بنفسه، وقد كتبها بأسلوبٍ سردي بسيطٍ وسلسٍ، «ويخلو من أثر الصنعة، ولكنه يتميز بالحيوية أحياناً، كما لا يخلو من العنصر الدرامي[210]».

وقد كتبها أيضاً بأسلوبٍ شخصيٍ، فكثيراً ما يشير إلى نفسه لشرح شيء ما فعله أو رآه في مكان معين، وقد جاءت رحلته غنية بالصور ومليئة بالمعلومات الحضارية والاقتصادية والاجتماعية عن المناطق التي زارها حيث وصف الأبنية والعمائر ومصادر المياه فيها، وسكانها، وملابسهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، ومآكلهم، وأعمالهم الزراعية والحرفية والتجارية وغيرها، ولكن مع ذلك فإنه يؤخذ عليه الإفراط في الوصف والإسهاب في التفاصيل أحياناً، ومثال ذلك وصفه المفصل للأبنية والآثار في بيت المقدس[211]، وعيد فتح الخليج في مصر[212]،والمسجد الحرام والكعبة في مكة[213]، ولعلَّ هدفه من تقديم مثل هذه التفاصيل الوفيرة «هو مساعدة القارئ في تصور مسرح الأحداث[214]».

ولم يقتصر على وصف المناطق التي زارها، بل تحدث عن بعض المناطق التي لم يزرها ولا سيّما القيروان (المغرب)، والأندلس، وصقلية، وولاية الصامدة (المصامدة)، والنوبة، وبلاد البُجة، واليمن، وعُمان[215] وغيرها، لكنه لم يفرد لهذه المناطق فصلاً خاصاً، بل جاء حديثه عنها عرضياً في إطار وصفه المناطق التي كان موجوداً فيها، ولتوضيح الصلات والطرق بينها وبين المناطق المجاورة لها.

وأورد بعض الحوادث التاريخية دون أن يوضّح الظروف السياسية التي أدت إليها، ومتى كان زمن هذه الحوادث، ومنها قوله: «وقد سمعت أن ملك فارس أرسل رسله إلى تنيس بعشرين ألف دينارٍ ليشتري له حلةً من كسوة السلطان، وقد بقي رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها»، «وسمعت أن سلطان الروم كان قد أوفد رسولاً ليعرض على سلطان مصر أن يعطيه مئة مدينة على أن يأخذ تنيس، فلم يقبل السلطان، كان قصده من هذه المدينة القصب والبوقلمون[216]».

كما ذكر بعض الشخصيات التاريخية التي عاصرها أو كانت قبل عصره دون أن يترجم لها أو يوضّح من هي؟ وما أعمالها؟ وهذا ما يجعل بعضها مجهولاً بالنسبة إلينا لعدم وجود ترجمة لها في المصادر المتوافرة[217].وأشار أيضاً إلى بعض الأقوام

دون أن يوضّح من هم، فقد ذكر البرسيين في أرزن[218]، وروى أن ناحية بيابان كانت تابعة للقفص قديماً[219]، كذلك كان مقلاً في عرضه للمناظرات والمناقشات والمحاورات التي جرت بينه وبين الأشخاص الذين التقى بهم خلال رحلته، هذا وعلى الرغم من قضائه مدةً طويلةً في بعض المناطق كما في القدس ومصر ومكة وغيرها، لم يذكر الأعلام البارزين في ميادين العلم والأدب في تلك المناطق[220].

فقد ذكر ناصر خسرو في رحلته المسلمين والمسيحيين واليهود، وحجهم إلى بيت المقدس[221]، كما ذكر عدة طوائف إسلامية[222]، ومع ذلك لم يعط أية أحكام عدائية تجاه أية تقاليد دينية شاهدها خلال الرحلة[223]؛ كما لم يطلق أي حكم أخلاقي على ما كان قد شاهده من الأخطار التي يتعرض لها الحجاج من قبل الأعراب[224].

هذا ولم يهمل ناصر ذكر النساء في رحلته، ولكن ذكره لهنَّ جاء قليلاً وفي مناسبات مختلفة، فقد روى أن النساء في وسطان بأرمينية يشاركن في التجارة، ويجلسن إلى جانب الرجال أمام الحوانيت[225]، وللنساء في القاهرة دور في النشاط التجاري فيها، قال: «وقد حكوا لي أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر [من النحاس الدمشقي]، وأنّها تؤجر الواحد منها بدرهم في الشهر، وينبغي أن يردَّها المستأجر سليمة[226]».

وخلال إقامته في البصرة، سمع «أنه كان من المتعذر في وقت ما أن تمر سفينة من فم نهر الأبلة، لعظم عمق مائه، فأمرت امرأة(؟) من أثرياء البصرة بتجهيز أربعمئة مركبٍ وملأتها كلها بنوى التمر وأغرقتها هناك بعد إحكام سدادها، فارتفع القاع وتيسر عبور السفن[227]».

وقد ضمَّن رحلته بعض الطرائف التي جرت خلالها، ومنها تلك الحادثة التي جرت في قرية خرزويل بعد قزوين، إذ كان هو وأخوه وغلام هندي، ومعهم زادٌ قليل، لذلك ذهب أخوه إلى القرية ليشتري بعض المؤن من البقال، «فقال له أحدهم: ماذا تريد أنا البقّال؟» فقال له أخو ناصر: «كل ما عندك يناسبنا، فإنا غرباء وعابرو سبيل»، فقال

البقّال: «ليس عندي شيء أبداً»، وبعد ذلك صار ناصر خسرو يسخر من كل شخصٍ أحمقٍ يقول كلاماً فارغاً بقوله: «إنه بقّال خرزويل[228]».

وعني ذلك الرحالة بعرض الأخبار المهمة، ومثال ذلك ما ذكره عن الجيش الفاطمي[229]، وأرخ للعديد من الأحداث التاريخية التي عاصرها، وذلك فضلاً عن ذكره العديد من الأخبار التاريخية القديمة[230]، وانفرد بتقديم بعض المعلومات والأخبار التي لم ترد لدى غيره كما في حديثه عن المستشفى الذي بناه الفاطميون في القدس[231]، وكذلك في حديثه عن دولة القرامطة في الإحساء[232]، وغير ذلك.

هذا وتنمُ ملاحظاته على فهمٍ عميقٍ بحياة الشعوب، وفهمٍ كاملٍ لمظاهر الحضارة التي يشاهدها، ووعيٍ واضحٍ بنظم الحكم والعادات والتقاليد، ولهذا تعدّ رحلته مصدراً مهماً وأساسياً لدراسة الحضارة الإسلامية في الشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[233]، كما أنّ ملاحظاته وآراءه عن الآثار والعمائر والفنون تكشف ما امتاز به من ذوقٍ فنيٍ جميلٍ، وفي هذا ما يدلّ على حذقه ومهارته ودرايته بفن العمارة العربية الإسلامية، ولذلك تعدّ رحلته أيضاً مرجِعاً أساسياً للمهتمين بدراسة الآثار والفنون الإسلامية[234].

ويتألف كتاب الرحلة لناصر خسرو المعروف بـ »سفر نامه» من مئةٍ وسبعٍ وثلاثين صفحةً، وذلك حسب النسخة المعتمدة في هذا البحث، وهو يقسم إلى خمسة أقسام غير متساوية، فقد جاء القسم الأول بعنوان «وصف الشام وفلسطين»، وجعل القسم الثاني للحديث عن «وصف مصر»، وأوقف القسم الثالث على «وصف بلاد العرب»، ووصف في القسم الرابع «البصرة»، وتحدث في القسم الخامس عن «وصف إيران[235]»، وختم رحلته بأنه سوف يقوم برحلة إلى المشرق، فيضم وصف ما يشاهده هناك إلى هذه الرحلة[236]، غير أنّ الظاهر لم يقم بتلك الرحلة، إذ اتخذت حياته طريقاً مغايراً مّما حال دون تحقيق تلك الرحلة[237].

وقد بلغ مجمع الأماكن التي ذكرها وزارها نحو مئة وأربعة وعشرين مكاناً بين مدينة وقرية وقلعة وموقع جغرافي، ففي القسم الأول ذكر نحو /70/ مكاناً، وذكر في القسم الثاني /20/ موقعاً، وأشار في القسم الثالث إلى /11/ موقعاً، وتحدث في القسم الرابع عن /3/ مواقع، وزار في القسم الخامس /20/ موقعاً[238]، هذا وتتضمن المادةُ التي قدّمها في كل قسمٍ من أقسام رحلته – بشكل عام – أخباراً عن الوضع السياسي القائم، وذكراً لبعض الأحداث التاريخية، ومعلومات جغرافية وحضارية وعمرانية واقتصادية واجتماعية وغيرها.

9- الخاتمة:

وهكذا يتبين أن ناصر خسرو القبادياني كان واحداً من الأعلام البارزين في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، إذ أبدع في جوانب مختلفة من المعرفة، وكان من أهم مؤلفاته، كتاب الرحلة المعروفة بـ "سفر نامه" التي أودع فيها خلاصة مشاهداته وملاحظاته، وقد كتبها بأسلوبٍ شخصيٍ، وكان على جانب كبير من الدقة في معلوماته، فرحلته تتسم بالتثبت والاحتراس والأمانة العلمية والصراحة في الوصف والتصوير ونقل الحوادث، كما جاءت خاليةً خلواً تاماً مّما يدخل في باب الأساطير والأعاجيب، وقد ربط فيها بين الوصف الحي والتاريخ، فقد استحضر في أثناء وصفه لبعض الأماكن بعض الحوادث التاريخية من تاريخ تلك الأماكن، فذكرها ضمن وصفه، ولكن دون أن يفصّل فيها، وقد أضفى هذا الجمع بين الوصف الحي والتاريخ نوعاً من الحيوية على رحلته، وجعلها بعيدة عن الوصف الجامد للبلدان.

ويحتوي "سفر نامه" على مادةٍ وصفيةٍ غزيرة وقيّمة جداً للنواحي الحضارية والاجتماعية والسياسية وغيرها في مناطق المشرق الإسلامي، ويظهر من خلالها اتساع اهتمامات ناصر خسرو، وتعدّد الموضوعات التي تناولها، وحرصه على أدق التفاصيل، إذ أشار إلى الوضع السياسي في المناطق التي مرّ فيها، وأرّخ لبعض الأحداث التي عاصرها، ووصف وصفاً دقيقاً ومفصّلاً المدن والمجتمعات التي مرّ بها، فوصف

الجوانب العمرانية كأسوار المدن والأبنية، وأقنية الري ومياه الشرب والطرق والأسواق والدفاعات العسكرية، وقدّم معلوماتٍ مهمة جداً عن النواحي الاقتصادية، فتحدث عن الزراعات والأشجار والحيوانات، والعديد من الحرف والمهن، والنشاط التجاري، والمواد المتاجر بها، والعملات المستخدمة في التبادل التجاري، كما عرض لبعض النواحي الاجتماعية والحياتية كالعادات والتقاليد وأعداد السكان في بعض المدن وغير ذلك من الأمور المهمة التي ذكرها في رحلته، وقد انفرد بذكر بعضها، إذ لم ترد لدى غيره.

هذا ويظهر من خلال رحلته تنوع الثقافات التي كانت تمارس، وغنى الموروث الحضاري والاقتصادي والاجتماعي في المشرق الإسلامي في ذلك العصر، لذلك تُعدُّ رحلتُه مصدراً أساسياً ومهماً لدراسة الحضارة العربية الإسلامية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

الحواشي

[1] أمين، أحمد، ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط10، 1355هـ - 1936م، ج2، ص72.

[2] أمثال: كتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبة (ت، 300هـ/ 912م)، وكتاب "البلدان" لليعقوبي (ت، 284هـ/ 897م)، وكتاب "المسالك والممالك" للإصطخري (ت، 346هـ/ 957م)، وكتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت، بعد 367هـ/ 977م)، وغيرها؛ للمزيد، انظر: حميدة، أعلام الجغرافيين العرب،ص75-77.

[3] الخراج والخرج بمعنى واحد، وهو أن يؤدي العبد إليك خراجه أي غلته، وقيل للبلاد التي فتحت صلحاً ووظف ما صولحوا عليه على أرضهم، خراجية، لأنّ تلك الوظيفة أشبهت الخراج الذي لزم الفلاحين، وهو الغلة؛ الحموي، ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت، 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م، مج1، ص40.

[4] محمدين، محمد محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، الرياض، دار العلوم، 1419هـ-1999م، ص138- 139.

[5] بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، وهي من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة، وتحمل غلّتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، 479.

[6] نهر جيحون: أطلق العرب في العصور الوسطى على نهر أوكسيس اسم جيحون، وفي أواخر العصور الوسطى في نحو الغارة المغولية بطل استعمال اسم جيحون، وصار يعرف هذا النهر بـ (أمويه) أو (أمودريا)، وكان نهر جيحون يعدّ الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أي إيران وتوران، فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم، سمّاها العرب ما وراء النهر (وهو نهر جيحون)، وكذلك سمّوها

الهيطل. وينبع نهر جيحون من بحيرة في التبت الصغرى وفي الفامر، ويصب في بحر آرال (بحر خوارزم)؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس . كوركيس عواد، بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1373هـ - 1954م، ص476- 479.

(7)طغرل بك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق: أول السلاطين العظام من السلاجقة، كان قد تسيد على القبائل التركمانية والسلجوقية عقب وفاة والده، فانتصر السلاجقة بقيادته على الدولة الغزنوية في عدة معارك، وبنتيجتها صارت خراسان للسلاجقة، وكان دخول طغرلبك نيسابور أول مرة في سنة 429هـ/ 1037م، ودخلها ثاني مرة في آخر سنة 431هـ/ 1040م وأول سنة 432هـ/ 1040م، وسيطر على بغداد سنة 447هـ/ 1055م، وتوفي سنة 455هـ/ 1063م، فخلفه ابن أخيه ألب أرسلان بن جغري بك؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت، 630 هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1424هـ - 2004م، ج7، ص784؛ ج8، ص5- 14، 125- 127، 182 - 185.

(8)الجرديزي، عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت، 443 هـ/ 1051م)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م، ص 268 - 272، 276- 286؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص5 - 15.

(9)ابن الأثير، المصدر نفسه، ج8، ص125 - 128.

(10)قامت الدولة العقيلية على أنقاض الدولة الحمدانية في الموصل في سنة 386هـ/ 996م، وظلت قائمة حتى سنة 489هـ/ 1096م؛ عن هذه الدولة، انظر: المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، بغداد، مطبعة شفيق، ط1، 1968م.

[11]عندما سقطت الدولة الحمدانية في الموصل ورثتها دولتان هما: الدولة العقيلية في الموصل، والدولة المروانية في منطقة ديار بكر التي استولت على مدن آمد ونصيبين وميافارقين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، واستمرت هذه الدولة قائمة حتى قضى عليها السلاجقة نهائياً سنة 478هـ/ 1085م؛ عن هذه الدولة، انظر: الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت، بعد 572هـ/ 1176م)، تاريخ الفارقي، حققه وقدم له: بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1379هـ- 1959م، ص59 - 213.

[12]الدولة المرداسية هي الدولة التي أسسها صالح بن مرداس أمير قبيلة كلاب في حلب في سنة 415هـ/ 1024م، وظلت قائمة حتى سنة 473هـ/ 1080م؛ عن هذه الدولة، انظر: ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت، 660هـ/ 1262م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له: سهيل زكار، دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 1418هـ - 1997م، ج1، ص197- 302؛ زكار، سهيل، إمارة حلب (1002 - 1094م)، دمشق، دار الكتاب العربي، (د. ت).

[13]الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت، بعد 736 هـ/ 1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، الدرة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، 1380- 1961م، ص342 - 343، 441؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ/ 1441)، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2001م، ج2، ص44. 45.

[14]سيد، المرجع نفسه، ص 187، 191.

[15] الأحساء (الحسا): بالفتح والمدّ، جمع حِسي، بكسر الحاء، وسكون السين، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه، وهناك في البادية أحساء كثيرة. والأحساء: مدينة بالبحرين،

معروفة مشهورة، كان أول من عمّرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص111- 112.

(16) ناصر خسرو، ناصر خسرو علوي القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م)، سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1993م، ص154 – 160.

(17)المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المعروف بالبشاري (ت، نحو 380هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، 1906م، ص260.

(18)المقدسي، المصدر نفسه، ص295 – 301، 261- 262.

(19)عن هذه الأقاليم انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، 67، 113، 136، 151، 193، 353، 373، 384، 402، 420، 459؛ ابن حوقل، محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت، نحو 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1938م، ص18، 132، 165، 207، 231، 249، 260، 305، 331، 357، 375، 399، 411، 426، 459.

(20)ناصر خسرو، سفر نامه، ص43.

(21)ناصر خسرو، ناصر خسرو علوي القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م)، جامع الحكمتين، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1974م، ص155، 406.

(22)قُبادِيان أوقُباذيان، وقيل قواديان أو قواذيان: بلدة من نواحي بلخ، تشكل القسم الشرقي من الصغانيان التي تقع على الضفة اليمنى أي الشمالية لنهر جيحون، ويشقها أحد أوديته، وهو المسمى نهر قباديان نسبة إليها، وهي تقع في أوله، وهي مدينة لها كورة، كثيرة الجبال طيبة، ولها ثلاث مدن شديدة العمارة يتخللها شعب تقلب في جيحون، ومدنها هي: بيز، وسكارا، وأوزج، ومن مدنها أيضاً: بورم، وهي مدينة

نائية؛ وتشتهر قباديان بالشجر والزروع، ويرتفع منها الفوّة الذي يحمل إلى الهند؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص476. 477؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص289– 290؛ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت، 562هـ/ 1166م)، الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ – 1998م، مج4، ص419 – 420، (ذكر أن الوادي الذي يمر بها هو راميل)؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص303؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص482–483.

(23)ناصر خسرو، سفر نامه، ص47، 157، 178 – 179.

–Ivanow, w, Nasirkhusraw andIsmailism, Bombay, 1948,p7-8.

(24)جغري بك: هو جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو طغرل بك أول السلاطين العظام من السلاجقة، شغل دوراً بارزاً في الحروب مع الدولة الغزنوية، وملك خراسان، وبقي عليها حتى توفي سنة 452هـ/ 1060م؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص6 – 15، 165.

(25)ناصر خسرو، سفر نامه، ص43.

(26) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص45؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص56؛ حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، ص270.

Palestine Under the Moslems, Beirut, 1965, p6.-Le Strange, Guy,

(27)بدخشان أو بذخشان وتكتب أحياناً بدخشانات بصيغة الجمع: بلاد جبلية على الشاطئ الأيسر من المجرى الأعلى لنهر جيحون أو على وجه الدقة على الشاطئ الأيسر لنهر بنج الذي ينبع منه نهر جيحون، والنسبة إليها بدخشاني، كانت تتبع لبلخ، وتبعد عنها ثلاث عشرة مرحلة، وهي متاخمة لبلاد الترك فوق طخارستان، وتشتهر برساتيقها العامرة الخصبة وكرومها وأشجارها، ويروي أراضيها نهر ككجه، وهو فرع من نهر جيحون، ويطلق عليه اسم «الضرغام»، ويوجد فيها مناجم

للأحجار الكريمة والجواهر النفيسة كالياقوت واللازورد والنحاس وغيرها؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص428، 449، 454؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص296، 303؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د. ت)، ص306؛ بارتولد، «بذخشان»، دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي، أصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي وآخرون، بيروت، دار المعرفة، 1933م، مج3، ص474 – 475؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص479–480.

(28) هالم، هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تعريب: سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى، ط1، 1999م، ص89؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص57، (جعل وفاته سنة 453هـ/ 1061م)؛ حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، ص271؛ صفا، ذبيح الله، تاريخ أدبيات إيران، تهران، انتشارات فردوس، 1383هـ، ج1، 273 – 274.

(29) الهمذاني، رشيد الدين (ت، 718هـ/ 1318م)، جامع التواريخ، تحقيق: دانش بزوه وزنجاني، طهران، 1959م، ص77؛ براون، إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية: إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1424هـ – 2004م، ص247.

(30) هنزبيرغر، أليس، ناصر خسرو ياقوتة بدخشان، ترجمة: سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى، ط1، 2003م، ص358.

(31) دفتري، فرهاد، مختصر تاريخ الإسماعيليين، ترجمة: سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى، ط1، 2001م، ص190؛ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1987م، ج2، ص390؛ ومن الأهمية الإشارة إلى أن حاجي خليفة جعل وفاة ناصر خسرو في سنة 431هـ/ 1039م، في حين ذكر البغدادي أن وفاته في سنة 444هـ/ 1052م، غير أن هذين التاريخين غير صحيحين، ولا يتفقان مع مسيرة حياة هذا الرحالة؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد

الله كاتب جلبي (ت، 1067هـ/ 1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1429هـ . 2008م، ج2، ص282؛ البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين «أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1429 هـ . 2008م، ج2، ص431.

[32]رزق، يواقيم، «ناصر خسرو»،موجز دائرة المعارف الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ – 1998م، ج31، ص9855.

[33]كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، قسم1، ص259؛ أبو خليل، شوقي، وآخرون، موسوعة الأوائل والمبدعين في الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، دار المنبر، 2002م، ج4، ص684 – 685؛ صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج1، ص274. Ivanow, w, Aguide to Ismaili literature, London, 1933, p89. –

[34]هالم، الفاطميون، ص89.

[35]ناصر خسرو، ناصر خسرو علوي القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م)، ديوان ناصر خسرو، طهران، 1921م، 313– 316، 364؛ ناصر خسرو، سفر نامه، «مقدمة المحقق»، ص33 – 34.

[36]ناصر خسرو، سفر نامه، ص122 – 123.

[37] ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص125 – 129.

[38]ناصر خسرو، المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص35.

[39]كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، قسم1، ص260 – 261.

[40]حسن، زكي محمد، كنوز الفاطميين، بيروت، دار الرائد العربي، 1401هـ – 1981م، ص10 – 11؛ الرحالة المسلمون، ص57؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص43.

(41)ناصر خسرو، سفر نامه، ص88؛ الحاكم بأمر الله: أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله، سادس الخلفاء الفاطميين، وثالث من حكم منهم في مصر، حكم بين سنة 386هـ/ 996م، و411هـ/ 1021م؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج1، ص325 – 401.

(42) ناصر خسرو، سفر نامه، ص134؛ البجاويون: هم سكان منطقة البجة التي تقع بين بحر القلزم ونهر النيل وبين أرض مصر والحبشة وأرض النوبة، وهم أصحاب أخبية شعر وألوانهم أشد سواداً من الحبشة في زي العرب، ولا قرى لهم ولا مدن ولا زرع، وتشتهر بلادهم بوجود الزمرد والذهب فيها؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي، (ت، 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل بلا؛ (د.م)، انتشارات الشريف الرضي، ط1، 1422هـ، ج2، ص127؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص50؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ/ 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم . مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998م، ج1، ص545؛ الكيلاني، شمس الدين، الآخر في الثقافة العربية (صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط)، دمشق، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009م، ص212– 214.

(43)ناصر خسرو، سفر نامه، ص38، 160 – 161.

(44)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص131.

(45) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص127، 141.

(46) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص153.

(47) مُطارُ: بالضم، قرية من قرى الطائف بينها وبين تبالة ليلتان؛ ومَطَارِ: بالفتح والبناء على الكسر، موضع بين الدهناء والصّمّان؛ الحموي، معجم البلدان، مج5، ص147.

(48) الثُّريا: ماء لبني الضباب بحمى ضرية، وقيل: الثُّريا مياه لمحارب في شُعَبَى، وشُعَبَى: من بلاد الضباب بالحمى، حمى ضرية شُعَبَى، وهي جبال واسعة مسيرة يوم وزيادة ولمحارب فيها خط ومياه تسمى الثُّريّا؛ الحموي، معجم البلدان، مج2، ص77؛ مج3، ص346.

(49) جزع: الجزع هو منعطف الوادي، وهناك أكثر من جزع، فجزع بني كوزٍ، وهو من ديار بني الضباب بنجد، وجزع بني حمَّاز، وهو واد باليمامة، وجزع الدواهي، وهو موضع بأرض طيء؛ الحموي، معجم البلدان، مج2، ص134.

(50) فلجٌ: مدينة بأرض اليمامة، لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وفلج : مدينة قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وليس باليمامة ملكٌ لقوم خلصوا به مثلها، وهي أربعة فراسخ طولاً وعرضاً مستديرة، وتسمى فلج الأفلاج لأنها أفلاج كثيرة، وأعظمها هذا الفلج لأنه أكثرها نخلاً ومزارع وسيوحاً جارية؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص271.

(51)ناصر خسرو، سفر نامه، ص153 – 162.

(52)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص36، 137.

(53)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص125 – 128.

(54) ناصر خسرو، سفر نامه، مقدمة المحقق، ص37؛ جمال الدين، محمد السعيد، دولة الإسماعيلية في إيران، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1975م،ص92.

(55)كانت الصلات بين الخلافة الفاطمية واليمن قوية لدرجة أن علي بن محمد رئيس الصُليحيين في اليمن أرسل في سنة 439هـ/ 1037م هدايا للخليفة الفاطمي المستنصر، واستأذنه في نشر الدعوة فيها، فأذن له؛ الحمادي، محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني (ت، نحو470هـ/ 1077م)، كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، دراسة وتحقيق: محمد عثمان

الخشت، الرياض، مكتبة الساعي، (د.ت)،ص72-73؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص69.

(56)ناصر خسرو، سفر نامه، مقدمة المحقق، ص38.

(57)سيد، الدولة الفاطمية، ص191؛«كان الزيريون في طريقهم للاستقلال عن الفاطميين واعتناق المذهب المالكي، منذ تولى المعز بن باديس، ففي شعبان سنة 441هـ/ 1050م أمر بضرب عملة جديدة خاصة به، وبسبك ما عنده من الدنانير التي عليها أسماء الفاطميين بعد أن ظلت تُضرب هناك مئة وخمسة وأربعين عاماً، وفي سنة 443هـ/ 1051م قطع المُعز كل صلة له بالفاطميين وأقام الخطبة للعباسيين بإفريقية»؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ج2، ص63 – 65؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص190.

(58)عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص171.

(59)ناصر خسرو، سفر نامه، ص135، 157، 164.

(60)هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص295، 315.

(61) أبو المعالي، محمد بن عبيد الله الحسيني (ت، بعد 485هـ/ 1092م)، بيان الأديان، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، 1959م، ص44؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص56 – 57؛ كنوز الفاطميين، ص11؛ سالم، عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م، ص217؛ حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، ص271.

(62) أبو المعالي، بيان الأديان، ص44.

(63)يمكان: مدينة حصينة في وسط الجبال بقرب بدخشان، لا قدرة لأحد عليها، قهرت الصعوبة مسلكها، بها معادن الفضة والبلخش؛ القزويني، آثار البلاد، ص489.

(64) برزت أسرة علي بن الأسد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ومن المرجح أنها استقرت في بدخشان بين عامي 429هـ/ 1037م، و437هـ/ 1045م، فشكلت حكومة مستقلة فيها خارج سيطرة السلاجقة، وبعد ذلك وصل أبو المعالي علي بن الأسد إلى حكم بدخشان، فاستمر على حكمها بشكل شبه مستمر حتى سنة 472هـ/ 1079م؛ ناصر خسرو، جامع الحكمتين، مقدمة المحقق، ص90-91.

(65)هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص37.

(66)جمال الدين، دولة الإسماعيلية، ص93.

(67)براون، تاريخ الأدب في إيران، ص258.

(68) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص282؛ البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص431؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص29

(69)براون، تاريخ الأدب في إيران، ص269؛ هالم، الفاطميون، ص89.

(70) ناصر خسرو، جامع الحكمتين، مقدمة المحقق، ص48؛ رزق، ناصر خسرو، ج31، ص9855؛ هالم، الفاطميون، ص89؛ الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، القاهرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط2، 1972م، ص1816.

(71)هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص41؛رزق، ناصر خسرو، ج31، ص9856.

(72) ناصر خسرو، سفر نامه، مقدمة المحقق، ص39؛ ناصر خسرو، جامع الحكمتين، مقدمة المحقق، ص 48- 50؛ هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص41- 45؛ رزق، ناصر خسرو، ج31، ص9855؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص1816؛ صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج1، ص275.

(73)ناصر خسرو، سفر نامه، مقدمة المحقق، ص39.

(74)ناصر خسرو، جامع الحكمتين، ص397.

(75)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص399.

(76) أبو المعالي، بيان الأديان، ص44.

(77)تامر، عارف، تاريخ الإسماعيلية، لندن – قبرص، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1991م، ج4، ص148.

(78)هنزيرغر، ناصر خسرو، ص48، حاشية رقم (13).

(79)هنزبيرغر، المرجع نفسه، ص24، 67.

(80)دفتري، مختصر تاريخ الإسماعيليين، ص189.

(81)دفتري، المرجع نفسه، ص189.

(82)القرآن الكريم، سورة محمد، آية 24.

(83)القرآن الكريم، سورة الفتح، آية 10.

(84)القرآن الكريم، سورة الفتح، آية 18.

(85)ناصر خسرو، ديوان ناصر خسرو، ص172– 177؛ ناصر خسرو، سفر نامه، مقدمة المحقق، ص19– 20؛ خرج الرسول ﷺ في سنة 6هـ/ 627م للعمرة، فصدّه المشركون عن الدخول إلى مكة، فأقام في الحديبية، وهي على تسعة أميال من مكة، وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة حتى الموت، وذلك لما بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان إلى أهل مكة يعلمهم أنه لم يأتِ محارباً، وإنما جاء معتمراً، فاحتبسوا عثمان، واستفاضت الأخبار بقتله، فوقعت البيعة حينئذ؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت، 346هـ/ 957م)، التنبيه والإشراف، ليدن، مطبعة بريل، 1893م، ص255؛ هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، الكويت، دار البحوث العلمية، ط5، 1397هـ – 1977م، ص220 – 226.

(86)ناصر خسرو، سفر نامه، ص45.

(87)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص155.

(88)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص156.

[89]المن: جمعه أمنان، وهو كيل أو ميزان، وهو شرعاً /180/ مثقالاً، وعرفاً /280/ مثقالاً؛ المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، ط33، 1992م، ص776، مادة «من».

[90]ناصر خسرو، سفر نامه، ص157.

[91]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص164 . 165.

[92]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص62.

[93]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص22، 135.

[94]الأهواز: جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيّرتها حتى أذهبت أصلها جملة لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة، وكان اسمها في أيام الفرس خُوزستان، والأحواز: هي بلد بين البصرة وفارس، وتضم عدة كور؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص284 – 285.

[95]ناصر خسرو، سفر نامه، ص165.

[96]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص171 – 172.

[97]ناصر خسرو، المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص26.

[98]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص129، 157.

[99]سِمنان: بلدة بين الري ودامغان، وهي تتبع بلاد قومس؛ الحموي، معجم البلدان، مج3، ص251؛ السمعاني، الأنساب، مج3، ص330.

[100]ناصر خسرو، سفر نامه، ص46.

[101]شميران: قصبة ولاية طارم من بلاد الديلم، وهي قلعة حصينة على نهر عظيم جار بين جبال، وفي الطريق إلى أذربيجان؛ الحموي، معجم البلدان، مج3، ص256، (ذكرها بالسين أي «سميران»)؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص261.

[102]دربند: هي باب الأبواب، وتقع في أقصى شمالي بلاد شروان، وهي أجل موانئ بحر قزوين؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص214.

[103]ناصر خسرو، سفر نامه، ص48.

[104]تبريز: أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجص، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها؛ الحموي، معجم البلدان، مج2، ص13.

[105]ناصر خسرو، سفر نامه، ص49؛ قطران: فخر الشعراء، شرف الزمان أبو منصور قطران، الشاعر الآبادي التبريزي، من مشاهير شعراء إيران في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ورائد الشعراء الناظمين بالفارسية في آذربيجان، وهو يعد أول شاعر ينظم بالفارسية فيها، ثم احتذى حذوه الشعراء اللاحقون، توفي بعد سنة 465هـ/ 1072– 1073م، أشهر مؤلفاته: "ديوان شعر"، وله "تفاسير في لغة الفرس"؛ صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج1، ص264– 265.

[106]ناصر خسرو، سفر نامه، ص56.

[107] التقى ناصر خسرو بالقاهرة بالخليفة المستنصر ووزيره، وداعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي؛ ناصر خسرو، سفر نامه، مقدمة المحقق، ص 33– 35.

[108] ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص132، 135؛ (كان محمد بن فليج قد عاون ناصر خسرو في اكتراء الجمل واختيار الرفيق في طريق توجهه منها نحو عيذاب، كما كتب رسالة توصية لوكيله في عيذاب ليعطي ناصر ما يريد، فأعطاه مئة منٍ من الدقيق).

[109]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص137.

[110]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص161.

[111]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص165.

[112]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص171 . 172.

[113]طبس: مدينة في برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان، وهما طبسان: طبس كيلكي، وطبس مسينان، ويقال لهما الطبسان في موضع واحد؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص20.

[114]زوزن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة، كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم؛ الحموي، معجم البلدان، مج3، ص158.

[115]ناصر خسرو، سفر نامه، ص176؛ الفرسخ: يتألف من 3 أميال، وكل ميل 1000 باع، وكل باع 4 أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي 6كم؛هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمّان، الجامعة الأردنية، ط2، (د. ت)،ص94.

[116]ناصر خسرو، سفر نامه، ص177.

[117]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص179.

[118]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص88.

[119]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص127.

[120]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص156.

[121]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص173.

[122]ناصرو خسرو، المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص23 – 24.

[123]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص83.

[124]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص119.

[125]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص121.

[126]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص118– 119.

[127] ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64، 131، 146– 147، 176؛ (أمثال: الرمل المكي الموجود في الطريق إلى حيفا، والذي يستخدمه صياغ العجم؛ والصوف

المصري الذي يصدر إلى بلاد العجم؛ والحلقتان الكبيرتان من الفضة اللتان أرسلتا من غزنين، وهما مركبتان في مصراعي باب الكعبة بمكة).

(128)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص69؛ الذراع الشرعية: أي ذراع اليد، وكان طولها 49.875سم، أما ذراع المَلِك، فتساوي الذراع الهاشمية الكبرى، وقد اتخذت هذا الاسم في عهد المنصور العباسي (754–775م)، وكانت تساوي نحو 66.5سم؛ هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص88، 90.

(129) ناصر خسرو، سفر نامه، ص164، 171؛ (فقد ذكر أن أمير البصرة هو ابن أبي كاليجار الديلمي الذي كان ملك فارس، وكان وزيره رجلاً فارسياً اسمه أبو منصور شاه مردان. وذكر يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية الذي رأى اسمه على منبر المسجد الجامع في مدينة مهروبان).

(130)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص44، 46، 52، 55، 59، 95، 141، 153 – 154. يتألف التقويم الفارسي من الأشهر الآتية: 1. فروردين (مارس . أبريل)، 2. أرديبهشت (أبريل . مايو)، 3. خرداد (مايو . يونيو)، 4. تير (يونيو . يوليو)، 5. مرداد (يوليو . أغسطس)، 6. شهرير (أغسطس . سبتمبر)، 7. مهر (سبتمبر . أكتوبر)، 8. آبان (أكتوبر . نوفمبر)، 9. آذر (نوفمبر . ديسمبر)، 10. دي (ديسمبر . يناير)، 11. بهمن (يناير . فبراير)، 12. أسفندار مذ (فبراير . مارس)؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص215؛ مروج الذهب، ج2، ص343.

(131)هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص92.

(132)ناصر خسرو، سفر نامه، ص51 . 52.

(133)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص83.

(134) زنجبار: هي الساحل الشرقي لإفريقية الممتد من مقديشو حتى سفالة، وقد أطلق الجغرافيون العرب على ساحل زنجبار اسم (ساحل الزنج)؛ الكيلاني، الآخر في الثقافة العربية، ص252.

(135) الحبشة: إقليم في إفريقية الشرقية، وهو يقع جنوب بلاد البجة، وينتهي حده الجنوبي إلى بلاد الزنج (زنجبار)، ويحاذي حده الشمالي والشمالي الشرقي بلاد النوبة والبجة، ويحفه من الغرب بلاد السودان الغربي أو ما يسمّى ببلاد التكرور، وكان عاصمة الحبشة في قديم الزمان مدينة "أخشوم"، ويقال لها "أكسوم"؛ الكيلاني، الآخر في الثقافة العربية، ص225– 228.

(136)ناصر خسرو، سفر نامه، ص101.

(137)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص135.

(138)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64، 67 – 68، 76، 91، 94 – 95، 102، 116 – 117، 122، 135، 167، 171.

(139)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64.

(140)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص119

(141) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص162؛ الأراجيف: الأخبار المختلقة الكاذبة السيئة. يقولون "إذا وقعت المخاويف كثرة الأراجيف"، أي عند الخوف تكثر الأخبار الكاذبة السيئة؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص251، مادة "رجف".

(142)ناصر خسرو، سفر نامه، ص179.

(143)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص68.

(144)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص51؛ القطران: نوعان: غليظ برّاق، حاد الرائحة، يعرف: بالبرقي؛ ورقيق كمد، يعرف بالسائل. والأول من الشربين خاصة، والثاني من الأرز والسدر ونحوهما. وصنعته: أن تقطع هذه الأحطاب، وتجعل في قبة قد بنيت على بلاط سوي، ومنها قناة تصب إلى خارج، وتوقد حولها النار، فإنه يقطر، وأجوده الأول. وهو حار يابس في الثانية أو الثالثة، يحفظ الأجساد من البلى، ولذلك سمّي حياة الموتى. يستخدم القطران لعلاج البرد والطاعون والوباء، وأوجاع الأذن والصدر وضعف الكبد والسموم كلها وغير ذلك؛ الأنطاكي، داود بن عمر

(ت، 1008هـ/ 1599م)، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب المعروف بـ "تذكرة داود الأنطاكي"، ويليه ذيل التذكرة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د. ت)، ص288.

(145)ناصر خسرو، سفر نامه، ص55.

(146)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص55

(147)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص59.

(148)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص61.

(149)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص69.

(150)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص53- 54، 68، 85، 89، 130- 131.

(151)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص53.

(152)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص68.

(153)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص89.

(154)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص130.

(155)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص109

(156)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص113.

(157)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص121.

(158)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص123.

(159)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص121.

(160) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص45 - 47، 49 - 52، 54 - 55، 57، 59 - 61، 64 - 66، 83 - 84، 91، 101، 108، 132 - 133، 137، 141، 152، 154 - 155، 157، 159، 173، 178.

(161)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص51.

(162)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص66.

(163) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص178.

(164)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص179.

(165)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص45 – 47 ، 54 – 55، 64 – 66، 83 – 84، 132 – 133، 154 – 155، 173، 178.

(166)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص108؛ الميل: يساوي ثلث الفرسخ أي يساوي حوالي 2 كم؛ هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص95.

(167)ناصر خسرو، سفرنامه، ص141؛ المرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في يومه؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص253، مادة «رحل».

(168)ناصر خسرو، سفر نامه، ص50.

(169)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص54.

(170)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64.

(171)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص65.

(172)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص133.

(173) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص174 – 175؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص362.

(174)ناصر خسرو، سفرنامه، ص175.

(175)الطِّينة: بلفظ واحدة الطين، وهي بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص56.

(176)ناصر خسرو، سفر نامه، ص91.

(177)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص95.

(178)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص126، 128.

(179)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص131 – 132.

(180) بحر القلزم (البحر الأحمر): هو شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان ثم يمتد مغرباً حتى مدينة القلزم التي تقع في أقصاه قرب مصر، ويسمى بحر القلزم نسبة إليها، ويسمى في كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فعلى ساحله الجنوبي بلاد البربر والحبش، وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص344.

(181)ناصر خسرو، سفر نامه، ص134.

(182)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص165، 168.

(183)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص87 – 88.

(184)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص157 – 158.

(185) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص43 – 52، 54 – 55، 57، 62، 64 – 66، 83 – 84، 87 – 88، 126 – 129، 131 – 134، 138، 141، 153، 156، 163، 168، 172 – 179.

(186) السنة الشمسية: الزمن اللازم لدوران الأرض حول الشمس دورة كاملة بحيث تُرى من مركز الشمس على اجتماع بنجم ما مرتين متتاليتين، قيمتها 365.2564 يوماً شمسياً معدلاً أي 365 يوماً و6س و9د و9.5ث؛ المنجد في اللغة والأعلام، ص359، مادة "سنا".

(187)ناصر خسرو، سفر نامه، ص66 – 67.

(188)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص132.

(189)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص134.

(190)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص127، 141.

(191)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص162.

(192)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص155، 157.

[193]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص171؛ توفي أمير الأمراء البويهي أبو كاليجارسنة 440هـ/ 1048م، وخلّف من الأولاد تسعة هم: أبو نصر فيروز الملك الرحيم الذي خلفه على السلطة، والأمير أبو منصور فلاستون، وأبو طالب كامرو، وأبو المظفر بهرام، وأبو علي كيخسرو، وأبو سعد خسرو شاه، وثلاثة بنين أصاغر، هذا وقد كان عهد الملك الرحيم مليئاً بالاضطرابات والحروب بينه وبين إخوته وأقاربه؛ حول ذلك، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص70–73، 76 – 77، 80، 84، 92 – 95، 106 – 107.

[194]ناصر خسرو، سفر نامه، ص174.

[195]بسطام: بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص421.

[196]ناصر خسرو، سفر نامه، ص45 – 46، (وفيه ورد اسمه بالرسم الآتي: "بايزيد البسطامي")؛ أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى: شيخ عارف زاهد مشهور، توفي سنة 261هـ/ 874م؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، 748هـ/ 1347م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، الكويت، وزارة الإعلام، ط2، 1984م، ج2، ص29.

[197]ناصر خسرو، سفر نامه، ص50 – 51، (وفيه ورد اسمه بالرسم الآتي: "عويس القرني")؛ أويس بن عامر بن مالك ابن عمرو المرادي القرني: تابعي من أهل اليمن، أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وروى عنه وعن علي رضي الله عنه، كان عابداً زاهداً، سكن الكوفة، واختلف في موته، فقيل إنه قتل يوم صفين، وهناك من قال إنه مات على جبل أبي قبيس بمكة، وهناك من زعم أنه مات بدمشق؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار

الفكر، 1415هـ . 1995م؛ ج9، ص408– 455؛ السمعاني، الأنساب، مج4، ص460 – 461.

(198)ناصر خسرو، سفر نامه، ص62، 72.

(199)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص87 – 88، 126 – 128، 153.

(200) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص165 – 166.

(201)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص50؛ أخلاط: من أجل مدن أرمينية، وهي تقع في طرف بحيرة وان الغربي؛ كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص218.

(202)ناصر خسرو، سفر نامه، ص67.

(203)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص61.

(204) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص50.

(205) ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص51.

(206)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص154.

(207)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص164.

(208)كشف الظنون، ج2، ص282.

(209)كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، قسم1، ص260.

(210)كراتشكوفسكي، المرجع نفسه، قسم1، ص260.

(211)ناصر خسرو، سفر نامه، ص67 – 89.

(212)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص108 – 113.

(213)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص143 – 151.

(214)هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص288.

(215)ناصر خسرو، سفر نامه، ص100 – 102، 132، 134، 141 – 143، 161؛ المصامدة: من أكثر قبائل البربر وأوفرهم، وهم من ولد مصمود بن يونس بربر، ومن بطونهم: برغواطة وغمارة وأهل جبل درن، كانت مواطنهم بالمغرب الأقصى؛ ابن

خلدون، عبد الرحمن (ت، 808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1421هـ. 2000م، ج6، ص275.

(216)ناصر خسرو، سفر نامه، ص92.

(217)انظر ما ورد سالفاً في هذا البحث عن الأعلام الذين التقى بهم ناصر خسرو خلال رحلته، ويضاف إلى ذلك ما ذكره عما رآه بعد الطائف، قال: «سرنا من الطائف، واجتزنا جبالاً وأراضي صخريةً... وقد أروني وسط الصخور قلعة خربة، قيل: إنها كانت بيت ليلى، وقصتهم في هذا عجيبة»، وقد ذكر هذا فقط دون أن يوضّح من ليلى هذه، وما قصتها العجيبة التي سمعها من السكان المحليين؛ سفرنامه، ص154.

(218)ناصر خسرو، سفرنامه، ص51؛ البرسيون: هم الفرس الذين حافظوا على دين زردشت ولم يسلموا بعد الفتح الإسلامي؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص51، حاشية (2).

(219)ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص174؛ القفص: قوم يسمون الكوج أو الكوفج، يقيمون بجبال تعرف باسمهم في أطراف كرمان، يغلب عليهم الشر، وخبث الطباع، وقساوة القلب، قال المقدسي عنهم: «قوم لا خلاق لهم، وجوه وحشة، وقلوب قاسية، وبأس وجلادة، لا يبقون على أحد ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيَّات، تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة، ويضربونه بالحجارة حتى ينصدع. وسألتهم عن ذلك، قالوا: [لئلا] تفسد سيوفنا، ولا يفلت منهم أحد إلاَّ ندر. ولهم مكامن وجبال يمتنعون بها، وكلَّما قطّعوا في عمل، هربوا إلى آخر، قتالهم بالنشَّاب، ومعهم سيوف»؛ أحسن التقاسيم، ص470. 471، 488. 489.

(220)سلفت الإشارة إلى بعض الأعلام الذين التقى بهم ناصر خسرو، وكذلك إلى المدد الزمنية التي قضاها في بعض المناطق.

[221]ناصر خسرو، سفرنامه، ص67، 88.

[222]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص58، 60، 64، «كان سكان طرابلس وطبرية وصور من الشيعة»؛ ص159، «القرامطة في الإحساء».

[223]هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص225.

[224]ناصر خسرو، سفرنامه، ص128؛ هنزبيرغر، ناصر خسرو، ص290.

[225]ناصر خسرو، سفرنامه، ص50.

[226] ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص119.

[227] ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص168.

[228]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص47.

[229]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص109 – 110.

[230] فقد ذكر مثلاً حملة الخلافة الفاطمية ضد الدولة المرداسية سنة 441هـ/ 1049م؛ سفر نامه، ص 129– 130؛ وذكر حادثة نقل القرامطة للحجر الأسود من مكة إلى الحسا سنة 317هـ/ 929م، ثم إعادتهم إياه إليها سنة 339هـ/ 950م؛ سفر نامه، ص160– 161.

[231]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص68.

[232] ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص159 – 160.

[233] سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص218؛ حسن، الرحالة المسلمون، ص57؛ حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، ص271.

[234]حسن، الرحالة المسلمون، ص60.

[235]حظيت رحلة ناصر خسرو«سفر نامه» باهتمام الباحثين منذ القرن التاسع عشر الميلادي، فقد نشرها وترجمها إلى الفرنسية شارل شيفر منذ عام 1881م، ونقلها إلى العربية يحيى الخشاب، وصدرت في القاهرة عام 1943م، وصدرت ترجمة جديدة لها باللغة العربية بقلم أحمد خالد البدلي في السعودية عام 1983م، والنسخة المعتمدة

في هذا البحث هي بترجمة يحيى الخشاب، وإصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1993م، وفيها يمتد القسم الأول من صفحة 43 إلى 89، والقسم الثاني من صفحة 91 إلى 135، والقسم الثالث من صفحة 137 إلى 162، والقسم الرابع من صفحة 163 إلى 169، والقسم الخامس من صفحة 171 إلى 179.

[236]ناصر خسرو، سفر نامه، ص179.

[237]كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، قسم 1، ص260.

[238]من الأهمية التنويه إلى أنه تمّ إعداد هذا الإحصاء استناداً إلى النسخة المعتمدة في هذا البحث.

المصادر والمراجع:

أولاً . المصادر:

1. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت، 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1424هـ – 2004م.
2. الأنطاكي، داود بن عمر (ت، 1008هـ/ 1599م)، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب المعروف بـ "تذكرة داود الأنطاكي"، ويليه ذيل التذكرة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د.ت).
3. الجرديزي، عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت، 443هـ/ 1051م)، زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م.
4. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت، 1067هـ/ 1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1429هـ – 2008م.
5. الحمادي، محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني (ت، نحو470هـ/ 1077م)، كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، الرياض، مكتبة الساعي، (د.ت).
6. الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت، 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م.
7. ابن حوقل، محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت، نحو 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1938م.

8. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت، 808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1421هـ – 2000م.
9. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت، بعد 736هـ/ 1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، 1380هـ – 1961م.
10. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، 748هـ/ 1347م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، الكويت، وزارة الإعلام، ط2، 1984م.
11. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت، 562هـ/ 1166م)، الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ – 1998م.
12. ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت، 660هـ/ 1262م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له: سهيل زكار، دمشق، دار الكتاب العربي، ط1، 1418هـ – 1997م.
13. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، 1415هـ . 1995م.
14. الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت، بعد 572هـ/ 1176م)، تاريخ الفارقي، حققه وقدم له: بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1379هـ– 1959م.

15. القرآن الكريم.
16. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د. ت).
17. المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت، 346هـ/ 957م)، التنبيه والإشراف، ليدن، مطبعة بريل، 1893م.
18. المسعودي، ـــــــــــــ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل بلا، (د. م)، انتشارات الشريف الرضى، ط1، 1422هـ.
19. أبو المعالي، محمد بن عبيد الله الحسيني (ت، بعد 485هـ/ 1092م)، بيان الأديان، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، 1959م.
20. المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المعروف بالبشاري (ت، نحو 380 هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، 1906م.
21. المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ/ 1441م)، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ – 2001م.
22. المقريزي، ـــــــــــــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم – مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998م.
23. ناصر خسرو، ناصر خسرو علوي القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م)، جامع الحكمتين، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1974م.
24. ناصر خسرو، ـــــــــــــ ديوان ناصر خسرو، طهران، 1921م.
25. ناصر خسرو، ـــــــــــــ سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1993م.
26. الهمذاني، رشيد الدين (ت، 718هـ/ 1318م)، جامع التواريخ، تحقيق: دانش بزوه وزنجاني، طهران، 1959م.

ثانياً . المراجع:

أ . المراجع العربية:

1. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط10، 1355هـ – 1936م.
2. البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين «أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1429هـ – 2008م.
3. تامر، عارف، تاريخ الإسماعيلية، لندن – قبرص، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1991م.
4. جمال الدين، محمد السعيد، دولة الإسماعيلية في إيران، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1975م.
5. حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، بيروت، دار الرائد العربي، 1401هـ – 1981م.
6. حسن، ـــــــــ كنوز الفاطميين، بيروت، دار الرائد العربي، 1401هـ – 1981م.
7. حميدة، عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دمشق، دار الفكر، ط2، 1400هـ – 1980م.
8. أبو خليل، شوقي وآخرون، موسوعة الأوائل والمبدعين في الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، دار المنبر، 2002م.
9. زكار، سهيل، إمارة حلب (1002 . 1094م) دمشق، دار الكتاب العربي، (د. ت).
10. زيادة، نقولا، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 2002م.

11. سالم، عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.
12. سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر(تفسير جديد)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م.
13. الكيلاني، شمس الدين، الآخر في الثقافة العربية (صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط)، دمشق، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009م.
14. محمدين، محمد محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، الرياض، دار العلوم، 1419هـ - 1999م.
15. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1987م.
16. المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، بغداد، مطبعة شفيق، ط1، 1968م.
17. المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، ط33، 1992م.
18. الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، القاهرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط2، 1972م.
19. هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، الكويت، دار البحوث العلمية، ط5، 1397هـ - 1977م.

ب . المراجع المترجمة إلى العربية:

20. براون، إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية: إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1424هـ - 2004م.

21. دفتري، فرهاد، مختصر تاريخ الإسماعيليين، ترجمة: سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى، ط1، 2001م.
22. كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى اللغة العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1963م.
23. كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس – كوركيس عواد، بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1373هـ – 1954م.
24. هالم، هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تعريب: سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى، ط1، 1999م.
25. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمَّان، الجامعة الأردنية، ط2، (د. ت).
26. هنزبيرغر، أليس، ناصر خسرو ياقوتة بدخشان، ترجمة: سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى، ط1، 2003م.

ت . البحوث والمقالات والدوريات:

27. بارتولد، «بذخشان»، دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة عن الأصلين الإنجليزي والفرنسي، أصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي وآخرون، بيروت، دار المعرفة، 1933م، مج3.
28. رزق، يواقيم، «ناصر خسرو»، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ – 1998م، ج31.

ث . المراجع الأجنبية:

29. صفا، ذبيح الله، تاريخ أدبيات إيران، تهران، انتشارات فردوس، 1383هـ.

-Ivanow, w, Aguide to Ismaili literature, London, 1933.
-Ivanow, w, Nasirkhusraw and Ismailism, Bombay, 1948.
- Le Strange, Guy, Palestine Under the Moslems, Beirut, 1965.

Converted by tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)